

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية العلوم الإنسانية والإسلامية والحضارة
قسم التاريخ



العنوان:

السياسة الاستعمارية البربرية في الجزائر والمغرب الأقصى 1830م – 1930م

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إشراف الأستاذ:

❖ د/ سعودي أحمد

إعداد الطلبة:

❖ تركية ابراهيمي

❖ وسيلة مازري

الموسم الجامعي: 2020-2021

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية العلوم الإنسانية والإسلامية والحضارة
قسم التاريخ



العنوان:

السياسة الاستعمارية البربرية في الجزائر والمغرب الأقصى 1830م – 1930م

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إشراف الأستاذ:

❖ د/ سعودي أحمد

إعداد الطلبة:

❖ تركية ابراهيمي

❖ وسيلة مازري

الموسم الجامعي: 2020-2021

شكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } النمل، الآية 19

أولا نحمد الله عز وجل ونشكره على توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل،

كما يسرُّنا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى:

الدكتور الفاضل سعودي أحمد

الذي مدّ لنا يد العون من أجل إنجاز هذا العمل،

والذي قوّم وتابع وصوَّب ما جاء به من أخطاء وأرشدنا في مراحل البحث،

كما أنه من دواعي العرفان بالجميل أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير

للعائلتين الكريمتين،

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر لكل الأساتذة الذين كان لهم الفضل علينا في مسارنا

الدراسي،

ولله الحمد وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

الإهداء

إلى رمز الوفاء وفيض السخاء وجود العطاء عند البلاء،
إلى من وصفوها فأحسنوا القول {الْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ}،
إلى التي سهرت من أجل راحتي وأضاءت لي الدرب شموعاً،
إلى أول اسم تلفظت به شفتاي،
أمي رعاها الله وأطال في عمرها،
إلى من تعب وضحي من أجلي،
إلى الذي سهل لي طريق العلم والمعرفة،
وعلمني الصبر والثبات وحب الخير،
أبي العزيز حفظه الله ورعاه،
إلى عائلتي المتواضعة، إخوتي وأخواتي،
إلى كافة الأهل والأقارب والأحباب،
وكل من ساعد في إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد،

تركية

الإهداء

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء
وهو السميع العليم، أما بعد:
أهدي ثمرة جهدي إلى والداي،
أمي التي كانت الشمس التي أنارت لي دروب النجاح،
وسقتني من ينبوع أخلاقها وطيبة قلبها،
إلى من كان قمرا يضيء حين تشتد الظلمات،
أبي العزيز الغالي الذي سقاني وكان سببا في استقامتي،
أهدي هذا العمل البسيط إلى إخوتي وأخواتي،
خاصة إلى روح أخي مسعود رحمه الله،
وإلى كل عائلتي،

وسيلة

قائمة المختصرات:

المختصر	المعنى
إلخ	إلى آخره
د ت	دون تاريخ
تر	ترجمة
تع	تعريب
ج	جزء
جم	جمع
ص	صفحة
ط	طبعة
ط خ	طبعة خاصة
ع	عدد
مج	مجلد
م	ميلادي
مر	مراجعة
هـ	هجري
SD	Sans date

مقدمة

مقدمة:

منذ القرن الثاني هجري والثامن ميلادي وعندما وصل الإسلام إلى الشمال الإفريقي عن طريق الفتوحات الإسلامية اعتنقه البربر وفتحوا صدورهم وعقولهم للدين الإسلامي الذي أصبحوا يفتخرون به ويعتزون به ومن أكثر الناس دفاعا عنه، وتميزت علاقتهم مع العرب بالتماسك والإمتزاج وبذلك خدموا الإسلام وتصدوا في فترة لاحقة إلى الإعتداءات الأوروبية التي كان يتعرض لها المغرب الإسلامي.

ولفك التماسك بين البربر والعرب عمد الإحتلال الفرنسي على تفكيك هذا التماسك والسعي إلى القضاء على المقومات الروحية للشخصية المغاربية، وبعد مرور العديد من الأحداث التاريخية لتحقيق هذا الهدف قامت فرنسا بتطبيق العديد من الوسائل الإستعمارية ومن بينها السياسة البربرية التي جاءت للقضاء على الشخصية الوطنية سواء في الجزائر أو المغرب الأقصى والتي استهدفت من ورائها هدم معالمها الاجتماعية والثقافية والدينية والحضارية و التي كانت قائمة على تقسيم المجتمع إلى قسمين بربر وعرب تحت سياسة فرق تسد.

أسباب اختيار الموضوع:

جاء اختيارنا لهذا الموضوع بناء على ما يلي:

- ❖ محاولة إبراز أي جديد يتعلق بالموضوع
- ❖ تفنيد السياسة البربرية الفرنسية في جعل الشعب المغاربي يتكون من مجموعات بشرية تنتمي إلى أعراق مختلفة.
- ❖ رغبتنا في إثراء مكتبتنا بمذكرة جديدة حول السياسة البربرية في الجزائر والمغرب الأقصى، تكون أكثر إضافة لما سبق من الدراسات.

أهمية الموضوع:

ومن العوامل التي دفعتنا إلى إختيار هذا الموضوع:

- ❖ إبراز وتبسيط الضوء على جانب كان له الأثر البالغ في تاريخ الجزائر والمغرب الأقصى.
- ❖ محاولة الوقوف والتعرف على أهم محطات ومراحل السياسة البربرية من خلال التطرق إلى مظاهرها وإبراز الممارسة الميدانية وعلاقتها بالطروحات النظرية البربرية.
- ❖ التعرف على تاريخنا المغاربي وعلى السياسة الفرنسية البربرية وأهدافها الرامية لضرب الهوية الوطنية.

حدود الدراسة :

يمتد الإطار التاريخي لهذا البحث من 1830م إلى 1930م، التي تعتبر مرحلة من التاريخ.

امتد الإطار الزمني في الجزائر من 1830م وهي بداية احتلال فرنسا للجزائر إلى 1930م وهو ذكرى مرور قرن من هذا الاحتلال.

أما بالنسبة للمغرب الأقصى، تمتد الفترة من 1912م وهو تاريخ التوقيع على معاهدة الحماية وتنصيب الجنرال ليوتي كمقيم عام على المغرب الأقصى إلى 1930م وهي إبرام ظهير 16 ماي 1930م وهو أخطر الظهائر تطبيقا للسياسة البربرية.

إشكالية الموضوع:

مثلت السياسة البربرية نقطة أساسية في التاريخ المعاصر سواء في الجزائر أو المغرب الأقصى من خلال ما هدفت إليه وما شكلته فيما بعد من تأثير لتفكيك البنية الاجتماعية ولذلك تمثلت الإشكالية في:

- كيف ساهمت السياسة البربرية في تفكيك مكونات المجتمعات المغاربية؟ وإلى أي مدى نجحت؟

وتتبع هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات والتي يمكن بسطها كالآتي:

- فيما تمثلت مظاهر السياسة البربرية الفرنسية في الجزائر والمغرب الأقصى؟
- كيف كان رد الفعل المغاربي على هذه السياسة؟
- فيما تمثلت ردود فعل العالم الإسلامي اتجاهها؟

المنهج المتبع:

أما فيما يتعلق بالمنهج فقد اعتمدنا المنهج التاريخي الوصفي لإستعراض أساليب السياسة البربرية الفرنسية المنتهجة في الجزائر والمغرب الأقصى، بمختلف محطاتها بغرض سرد ووصف الأحداث التاريخية التي مر بها البلدين.

بالإضافة إلى المنهج التاريخي المقارن الذي كان الهدف منه إبراز مدى الفوارق الواضحة في هذه السياسة البربرية في الجزائر والمغرب الأقصى.

خطة البحث:

قسم البحث إلى فصل تمهيدي وثلاث فصول وخاتمة.

في الفصل التمهيدي تطرقنا إلى الأوضاع العامة في الجزائر والمغرب الأقصى غداة الاحتلال الفرنسي، وقد تناولنا في الفصل الأول السياسة البربرية الفرنسية في الجزائر والذي اندرج تحته أربع مباحث، عنوانا المبحث الأول بمحاربة اللغة العربية وتشجيع اللهجات الدارجة والبربرية، والمبحث الثاني إصدار القوانين المميزة للمناطق البربرية في حين تضمن المبحث الثالث التبشير والتنصير في مناطق ذات تواجد بربري، ثم المبحث الرابع والأخير نماذج في البحوث والكتابات الفرنسية حول المناطق البربرية.

أما بخصوص الفصل الثاني فكان بعنوان السياسة البربرية الفرنسية في المغرب الأقصى والذي تفرع عنه ثلاث مباحث، تطرقنا في المبحث الأول إلى الظواهر البربرية وعنوانا المبحث الثاني

تشجيع اللهجة البربرية ومحاربة اللغة العربية، في حين تضمن المبحث الثالث نفي العلماء ومحاربة الزوايا ودور العلم العربية في المغرب الأقصى.

ومن جهة أخرى جاء الفصل الثالث بعنوان ردود الفعل على السياسة البربرية محليا وإقليميا، تفرع من مبحثين، المبحث الأول تطرقنا فيه إلى ردود الفعل المحلية بالنسبة للجزائر والمغرب الأقصى، ردود فعل العلماء والزوايا والصحافة، أما المبحث الثاني جاء بعنوان ردود فعل العالم الإسلامي والذي تضمن ردود فعل العلماء وموقف الصحافة.

الدراسات السابقة:

إن مثل هذه المواضيع تجلب إليها الكثير من الباحثين الذين يودون كشف خباياها وخفاياها لذلك جاءت العديد من الدراسات والبحوث الجامعية في هذا المجال من بينها ما كتبه محمد المكي الناصري في كتابه "فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى"، وكتاب بوعزة بوضرساية "سياسة فرنسا البربرية في الجزائر" بالإضافة إلى مذكرة ماستر بعنوان "السياسة البربرية الفرنسية في المغرب العربي" للطالبتين زراولة خديجة ورحماني كريمة.

أهم مصادر ومراجع البحث:

ومن أهم المصادر التي اعتمدنا عليها نذكر: "سياسة فرنسا البربرية في المغرب الأقصى" لمحمد المكي الناصري، بالإضافة إلى "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي" لعلال الفاسي، و "مذكراتي في الحركة الوطنية" لأبوبكر القادري، بالإضافة إلى الصحف والجرائد، أما بالنسبة لقائمة المراجع اعتمدنا منها: الجزائريون المسلمون وفرنسا لروبير آجرون، أبو القاسم سعد الله ومؤلفاته، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر لبوعزة بوضرساية و Paul Azan, les grands soldats de l'Algérie.

صعوبات البحث:

ولإنجاز هذا العمل واجهتنا جملة من الصعوبات أهمها:

- ❖ طول الفترة الزمنية المخصصة للدراسة 1830م - 1930م والتي عرفت الكثير من التغيرات في أساليب السياسة البربرية المتجهة من طرف الفرنسيين في الجزائر والمغرب الأقصى.
- ❖ صعوبة جمع المادة التي تربط بين السياسة البربرية في الجزائر والمغرب الأقصى في نفس الوقت.
- ❖ صعوبة التنقل إلى المكتبات بسبب الوضع الصحي الذي تعرفه البلاد (جائحة كورونا).

الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة في الجزائر والمغرب الأقصى غداة الإحتلال (1830م – 1926م)

المبحث الأول: الأوضاع العامة في الجزائر (1830م – 1870م)

المبحث الثاني: الأوضاع العامة في المغرب الأقصى (1906م – 1926م)

المبحث الأول: الأوضاع العامة في الجزائر (1830م - 1870م)

أ - سياسيا وعسكريا:

كان الحكم العسكري (1830م - 1870م) للجزائر يتضمن في هذه المرحلة ثلاث فترات متعاقبة أولها فترة تردد السياسة الفرنسيون في إحتلال الجزائر ما بين (1830م - 1833م)، ثم فترة الإحتلال الضيق ما بين (1833م - 1840م)، تليها فترة الإحتلال الشامل عام 1840م، واستمرت على عهد الحكم المدني بالتوغل في الصحراء الجزائرية.¹

استطاعت فرنسا حسم الموقف العسكري لصالحها بعد معركة اسطوالي، وفرض سياستها على الوضع الداخلي والخارجي الذي كان يعتبر أول بيان وزع من طرف رجال الأعمال، هدفه تشتيت الصف الجزائري حتى تتمكن فرنسا من تحقيق أهداف حملتها العسكرية من جهة وتحديد جيران الجزائر من جهة أخرى، وبعد مجيء البيان الثاني الموجه إلى كراغلة الجزائر بعنوان " نداء موجه من طرف الجيش الفرنسي إلى الكراغلة أولاد الأتراك والعرب القاطنين بأقاليم الجزائر "، الذي أكد سياسة القوي على الضعيف، والتي كانت هذه السياسة مجسدة في معاهدة الإستسلام بين الداي حسين باشا حاكم الجزائر وقائد الحملة العسكرية الفرنسية الكونت دوبرمون بتاريخ 05 جويلية 1830م.² عندما احتلت مدينة الجزائر يوم 05 جويلية 1830م بقيادة الجنرال دوبرمون،³ بادر في اليوم بإنشاء لجنة حكومية لتسيير الشؤون الجزائرية،⁴ والتي تمثلت في إنشاء هيئة مركزية ضمنت

¹ - بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830م - 1930م وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010م، ص 90.

² - نفسه، ص 90.

³ - دوبرمون: ولد في سبتمبر 1773م، في مقاطعة فريج، عين وزيرا للحرب وعهد إليه بالقيادة من طرف شارل العاشر، توفي يوم 27 أكتوبر 1846م بقصره الموجود في مسقط رأسه، ينظر:

Paul Azan, Les grands soldats de l'algerie, publication de comité national métropolitain du centenaire de l'algerie, (SD), pp 06-09 .

⁴ - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص 120.

بعض الأعيان أمثال الحاج علي أمين السكة، ابن المرابط، إبراهيم ابن المولى وآخرون بالإضافة إلى اليهوديان ابن بكري وابن درّان، لكنها فشلت في الأخير في مهامها التي أسندت إليها.¹

وعليه أنشأت الحكومة الفرنسية يوم 07 جويلية 1833م "اللجنة الإفريقية" لكي تحقق في الموضوع وتقتراح:

- ❖ الحلّ المناسب لأهم المشاكل الناتجة عن الإحتلال.²
- ❖ معرفة حالة الجزائر والأوضاع التي آلت إليها الجزائر جراء الإحتلال الفرنسي.³

بادر أعضاء اللجنة الإفريقية بناء على التوصيات التي قدمتها إلى حكومة باريس بإصدار قرار 22 جويلية 1834م الذي نص على إلحاق الجزائر بفرنسا وقام بتقسيمها إلى ثلاث عمالات (الجزائر، قسنطينة، وهران) وتقسّم كل عمالة إلى دوائر وبلديات بحيث تمثل لكل عمالة نائبا عنها في الجمعية الوطنية الفرنسية.⁴

وفي 12 ديسمبر 1833م تشكلت لجنة ثانية موسعة تألفت من 19 شخصية عسكرية ومدنية برئاسة الدوق "ديكازيس" وبعد عقد 56 جلسة أكد أعضاء اللجنة الثانية اقتراحات اللجنة الأولى ونصحوا الحكومة الفرنسية ببسط السيادة الفرنسية على قطر الجزائر بأكمله والعمل على استغلال الأرض والسيطرة على جميع ثروات البلاد.⁵

كان للجزائر ردا قويا رد من الناحية العسكرية والتي تمثلت في المقاومات الشعبية كمقاومة متيجة مثلا، إلا أنه ظهر جانب آخر وهو الجانب السياسي الذي حصل لواءه حمدان خوخة، في هذه الأثناء ظهرت مقاومة الأمير عبد القادر إلى إعادة بناء دولة جديدة تخول له من جانب آخر الاعتماد على الجانب السياسي في مواجهة الإحتلال الفرنسي، وتجلّى ذلك في إبرامه

¹ - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 91.

² - عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 120.

³ - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 91.

⁴ - نفسه، ص 92.

⁵ - عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 122.

لمعاهدتين مع إدارة الإحتلال الفرنسي الأولى معاهدة ديميشال والتي انتهت بقبول ديميشال شروط الأمير عبد القادر، والثانية معاهدة تافنة.¹

كان لثورة 1848م في فرنسا الأثر البالغ على مستعمراتها وعلى الجزائر لذلك طالب المستوطنون في الجزائر بإدماج الجزائر في فرنسا بصورة نهائية رسمية على أن يكون لهم في البرلمان الفرنسي الجديد أربع مقاعد، وقد تم لهم ما أرادوا بعد أن استطاعوا في السابق إقناع حكومة باريس بالاحتفاظ بالجزائر كجزء لا يتجزأ منها سنة 1845م، مما دفع بحكومة باريس إقامة إدارة مركزية في 15 أفريل 1845م، وعلى إثرها قسمت الجزائر إلى ثلاث مقاطعات وهي (الجزائر، قسنطينة، وهران)، وعليه استطاعت هذه الثورة في فرنسا بالإحاطة على الملك لويس فليب وظهور حكومة اشتراكية وبالتالي كانت الفرصة سائحة للويس نابليون أن يدخل الانتخابات الرئاسية وينتخب في ديسمبر 1848م رئيسا من طرف الجمعية الوطنية الفرنسية.²

- المكاتب العربية وأثرها على الوضع السياسي في الجزائر:

نقلا عن سلماني عبد القادر في مجلته بعنوان دور المكاتب العربية في توطيد الإحتلال الفرنسي أن حسب فرديناد المكتب العربي هو « حلقة وصل بين الجنس الأوروبي الذي استوطن القطر الجزائري منذ 1830 والسكان المحليين الذين قطنوا البلاد من قبل ولا يزالون إلى الآن ».³

تم إنشاء المكاتب العربية من طرف المرشال بيجو عام 1844م، التي كانت تهدف للقضاء على مقومات الشعب الجزائري من خلال هذه المكاتب، والتي أصبحت بمثابة إدارات محلية لتسيير الجزائريين، كان لهذه المكاتب دورا كبيرا في تسهيل تطبيق السياسة الاستعمارية الفرنسية، وإلى جانب متابعة الإدارة المحلية في كل منطقة ريفية هناك مراقبة مستمرة في تطبيق القانون الفرنسي على الجزائريين وهذا ما زاد من قوة هذه المكاتب وتوسيع نفوذها في الوضع الداخلي، بحيث

¹ - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 92.

² - نفسه، ص 93.

³ - عبد القادر سلماني، دور المكاتب العربية في توطيد الإحتلال الفرنسي، ع 3، مارس 2011م، كلية الآداب واللغات،

جامعة بشار، الجزائر، ص 01.

كانت هي الوسيلة في تطبيق سياسة الإحتلال الشامل وعلى الرغم من نجاحها إلا أنها وجدت معارضة كبيرة من طرف المستوطنين.¹

فالهدف منها إذن هو فرض مراقبة على الأماكن التي يسيطر عليها الجيش وإنشاء جهاز جوسسة لديه لمعرفة أخبار زعماء القبائل لتفادي أي انتفاضة.

ومع انهزام نابليون الثالث أمام ألمانيا وسقطت امبراطوريته انتهى الحكم العسكري وتم حل المكاتب العربية، بقرارين الأول في 12 أكتوبر 1870م، والثاني في 10 نوفمبر من نفس السنة، وتم بموجبها تحويل المناطق التي كانت تابعة للمكاتب العربية إلى مناطق مدينة تشرف عليها الإدارة المدنية التي أصبحت خاضعة لنفوذ المستوطنين.²

ب- اقتصاديا واجتماعيا:

تمثلت الأوضاع الاقتصادية في الجزائر خلال هذه الفترة بسياسة فرنسا الاقتصادية والمتمثلة في: مصادرة أراضي الجزائريين ونزع ملكيتهم منها والذي تضمن أربع أنواع من الأراضي أراضي الحكومة، أراضي الأوقاف الإسلامية وأراضي القبائل المشاعة (العرش) والمساحات الفردية (الملك)، وقد قامت فرنسا في بداية الإحتلال بإتلاف ما أمكنها من وثائق ملكية الأراضي وصكوك الأوقاف وعملت على مصادرة الأراضي وصدرت مجموعة من الإجراءات أهمها قرار كلوزيل في 08 سبتمبر 1830م بحجز أملاك العثمانيين والأوقاف الإسلامية وكذلك قرار كلوزيل الصادر في 07 ديسمبر 1830م المكمل للقرار السابق والذي نص على ضم كافة الأوقاف الإسلامية إلى قطاع أملاك الدولة وقرار عام 1839م الذي نص بمصادرة أراضي الجزائريين الذين ساندوا الأمير عبد القادر في جهاده وقوانين وقرارات أخرى.³

¹ - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص ص 94-95.

² - نفسه، ص 96.

³ - بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصرة 1830م-1989م، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص ص 157-158.

كما تميز الوضع الإقتصادي بفرض ضرائب باهظة على الجزائريين رغم إملاقهم،¹ وعليه يمكننا القول أن الوضع الاقتصادي في الجزائر إبان هذه الفترة تميز بالتدهور وذلك بسبب الإحتلال الفرنسي لها.

أما الوضع الاجتماعي تميز بتأثير الاستعمار الفرنسي على طبقات المجتمع الجزائري حيث أحدث تغيرات عرقية واسعة من خلال الدراسات الفرنسية فقد تم تقسيم المجتمع إلى الأتراك والطبقة الأرستوقراطية وأخيرا طبقة العرب والبربر ومن خلال هذه السياسة الاستعمارية تم القضاء على فئة الأتراك والكراغلة التي كانت تواجه المستعمر.²

وكما تميز هذا المجال الاجتماعي وحالته إبان هذه الفترة بتشجيع المستعمر على هجرة الأوروبيين إلى الجزائر، وهي سياسة عبر عنها الجنرال بوجو في خطبة ألقاها في مجلس النواب الفرنسي يوم 14 جانفي 1840م، ولبلوغ هذه الغاية عمدت فرنسا إلى توزيع الأرض على المستوطنين والشركات وتقديم القروض بأيسر الشروط.³

كما سعت في سياستها هذه إلى بناء المرافق الضرورية للإستيطان من مساكن ومستوطنات وعملت على تفكيك المجتمع الجزائري بالنفي، والتهجير والتجهيل خاصة بإضرام نار الفتنة بين القبائل وتشجيع استهلاك الخمر ونشر الفساد، وأخطر مظاهر هذه السياسة هي تقسيم السكان إلى سكان أصليين وهم البربر وغزاة دخلاء بزعمهم هم العرب، وبث التفرقة بينهم وكذلك تجنيس الجزائريين الذين تتوفر فيهم بعض الشروط النادرة كالخدمة في الجيش الفرنسي أو المجالس المنتخبة أو الإدارة إضافة إلى القراءة والكتابة بالفرنسية.⁴

أدت هذه السياسة إلى تردي الأوضاع الإقتصادية للجزائريين وزاد الأمر سوءا حدوث الجوائح والقحوط فتوالى الأزمات الاقتصادية على البلاد، والذي توضح ذلك في أن الزراعة عانت كثيرا

¹ - بشير بلاح، مرجع سابق، ص 160.

² - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 106.

³ - بشير بلاح، مرجع سابق، ص 155.

⁴ - نفسه، ص ص 156-157.

نتيجة اكتساح الجراد إليها في هذا الوقت الذي كلف فيه ضباط المكاتب العربية بمراجعة القوائم الضريبية حتى وإن كانت حالة الأهالي على هذا البؤس وكان هم المستوطنين في هذه الظروف هو تجريد الأهالي من أراضيهم بمختلف السبل، وقد حدث ما بين سنتي 1866م - 1870م عدة مجاعات وقحوط تزكت آثارا سيئة على السكان، إذ انتشرت الأوبئة الفتاكة كالكوليرا والتيفيس... وأدت إلى ضياع المدخرات وبيع الأراضي تحت ضغوط مختلفة كالديون التي تراكمت بسبب الضرائب والفوائد الربوية.¹

أما الأوضاع الاجتماعية هي الأخرى شهدت تدهورا ملحوظ وذلك إثر الخسائر المرتفعة في الأرواح لم تكن نتيجة المقاومات الشديدة فحسب، بل كان سببها حدوث الأوبئة التي نشرتها الجيوش الفرنسية عبر المناطق العديدة إضافة إلى مجاعات 1867م - 1868م وكما وضحت دراسات الباحثين أن هذه المجاعة قضت على ما يناهز المليون نسمة من الجزائريين، كما أدت هذه المجاعات إلى نزوح سكان الأرياف إلى المدن التي بدأت في النماء، وانتعاش الرأسمالية الأوروبية واليهودية في الجزائر، وانتشار ظاهرة الهجرة الجزائرية إلى الخارج.²

ت- دينيا وثقافيا:

- دينيا:

لم يختلف حال الوضع الديني خلال فترة الإحتلال على الأوضاع الأخرى في الجزائر، فهو الآخر ساءت حالته إلى درجة خطيرة جدا، حيث تعرضت المؤسسات الدينية كالمساجد والجوامع والزوايا إلى الهدم والتخريب والتدمير، وحول هذا حولت فرنسا سياستها الدينية الى حرب صليبية للقضاء على دين المجتمع الجزائري، وعليه قسمت الجوانب التالية:³

¹ - عبد الله المقلاتي، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن

عكنون، الجزائر، 2013م، ص 114.

² - نفسه، ص ص 115-116.

³ - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 136.

❖ **المساجد والجوامع:** اعتبر جامع السيدة هو أول مسجد تم الاعتداء عليه وهدمه سنة 1830 ثم تلاه توزيع المساجد على الجيش، ثم بدأ تحويل المساجد إلى كنائس،¹ كما يعتبر مسجد كاتشاوا أهم المساجد التي اشتهرت بها الجزائر والتي تحولت بتاريخ 18 ديسمبر 1832م إلى كاتدرائية أطلقت عليها اسم كاتدرائية سيدة الجزائر.²

لم تقتصر عمليات هدم المساجد على مدينة الجزائر فقط، بل شملت العديد من مساجد الوطن وكمثال على ذلك ما حصل لمساجد قسنطينة كمسجد رحبة الصوف، وجامع القصبة والجامع الكبير وجامع الباشا.³

❖ **الزوايا:** هي الأخرى حصل لها ما حصل من سياسة الهدم، لكونها مؤسسة دينية وسكن للطلاب ولدورها الريادي في اعلان الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي،⁴ كما ذكر سعد الله في كتابة تاريخ الجزائر الثقافي - الجزء السادس - أنه بالنسبة للزوايا في إقليم قسنطينة قد تحول غرضها واختنقت بسبب الأعمال التي حدثت في منطقتها، مثل سيدي عبد الهادي هل تعتبر زاوية أم جامع، وسيدي عبد القادر (زاوية أو جامع).⁵

❖ **التنصير:** اعتبرها رجال الدين حملة صليبية، التي عاصرت الحملة العسكرية على الجزائر عام 1830م، وعليه رأى رجال الدين أنه من الضروري بعث المسيحية من جديد في الجزائر وعليه عملوا على تشجيع جنود الاحتلال على قتل المسلمين ونهب خيراتهم، بدأت سياسة التنصير باحتشام بسبب استمرارية المقاومات الشعبية، ولكن بظهور الجنرال بيجو "أبو الإشتيطان" وأعماله

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م-1954م، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 10.

2- بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 137.

3- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 102.

4- بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 138.

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م-1954م، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 146-147.

التي قام بها شخصيا منها تسليمه للقس "بريمو" عدد من أبناء الجزائر الأيتام مخاطبا إياه: « حاول يا أبتى أن تجعل منهم مسيحيين وإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار ». ¹

وقد تولى الكاردينال لافيغري ² مسؤولية تنفيذ تلك السياسة التي كان هدفها التمسح، ³ وكان أولى اهتماماته بناء الأديرة والكنائس. ⁴

وكثيرة هي المؤسسات الدينية والتعليمية التي نصرها الفرنسيون، ومن بين المساجد التي حولت إلى كنائس، جامع القصبة الذي تحول إلى كنيسة الصليب المقدس، جامع بتشين أصبح كنيسة سيدة النصر، جامع كاتشاوا الذي تحول إلى كاتدرائية الجزائر. ⁵

- ثقافيا:

يعتبر التعليم من أهم مميزات الوضع الثقافي في الجزائر الذي كان في مرحلتين، الأولى سميت بالتعليم الابتدائي الذي كان يقدم من طرف السكان مباشرة، والذي كان يدرس فيه الكتابة والقراءة وحفظ القرآن وتلاوته في المدارس القرآنية والمساجد والزوايا، أما المرحلة الثانية هي مرحلة الثانوية والعليا، تدرس العلوم التقنية كالفقه وأصوله والتفسير وعلوم القرآن الحديث، العلوم العقلية كالنحو والبلاغة والمنطق والفلسفة والحساب وعلم الفلك منه التاريخ الإسلامي والطبيعي والطب. ⁶

¹ - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 144.

² - لافيغري: ولد في بايون 1825م، قسيس مدينة نانسي بفرنسا، ينظر إلى تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 119، عالم باللاهوت، الآداب، التاريخ، فن الكتابة، التأليف، البلاغة، أول من أسس فرقة مسيحية تبشيرية خاصة بالنساء والرجال وصاحب فكرة التبشير المسلح... للمزيد ينظر إلى سعدي مزيان النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر 1867-1892، ط1، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 13.

³ - صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م-1962م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص 219.

⁴ - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 145.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1830م-1900م، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، ص ص 79-82.

⁶ - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 127.

كانت إدارة الإحتلال الفرنسي تحارب الثقافة العربية في الجزائر لإحلال الفرنسية محلها من أجل القضاء على اللغة العربية ووضع الفرنسية مكانها، ولهذا الغرض أصدرت فرنسا قوانين للقضاء عليها،¹ ورغم كل هذا عرفت الثقافة الجزائرية صمودا في جعل الأهالي يلزمون موقف الحذر من التعليم الفرنسي، لأنهم وجدوا أنفسهم مرغمين على اتباع أمر الواقع، وخاصة عندما اختطفت السلطة الفرنسية الشبان الصغار أبناء زعماء المقاومة وإرسالهم إلى فرنسا للإخراط في المدارس الثانوية والعسكرية وكذلك تنصير الألوف من الأطفال الجزائريين اليتامى.²

نتيجة لتدهور الحالة الثقافية جراء السياسة التجهيلية من قبل الإحتلال الفرنسي وضعت هذه الأخيرة وسائل أخرى لنزع ثقافة المجتمع الجزائري والتي تمثلت في فرنسة الفرد الجزائري.³

تم إنشاء أول مدرسة فرنسية عربية في عهد الحكم العسكري في 01 يونيو 1833م بتأسيس المدارس الفرنسية في كل المدن التي تم احتلالها خاصة الجزائر، وهران، قسنطينة وعنابة.⁴

المبحث الثاني: الأوضاع العامة في المغرب الأقصى (1906م - 1926م)

أ- سياسيا وعسكريا:

تميزت الأوضاع العامة في المغرب الأقصى غداة الإحتلال بأحداث مهمة، فمنذ 1905م حاول الفرنسيون فرض حمايتهم على المغرب، لكن وجدوا ردا شرسا من طرف المغاربة بمساندة قوية من ألمانيا وعليه أفضلوا جميع مخططاته ودعوا إلى مؤتمر دولي تمثل في:

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م-1954م، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998م، ص 23-24.

² - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 128.

³ - محمد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كل أمة روح ثقافتها، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 1989م، ص 145.

⁴ - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص ص 128-129.

إنعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء¹ سنة 1906م والتي أقرت نتائجه على الاعتراف بسيادة السلطان المغربي واستقلال بلاده ووحدة أراضيه، ومساعدته على تنفيذ البرامج الإصلاحية وتطبيق المساواة التجارية لجميع الدول المشاركة في المؤتمر في الأراضي المغربية، كما أقر من ناحية أخرى إنشاء قوة مزدوجة من الشرطة متكونة من فرنسيين وإسبان تسهر على حماية الأمن في الموانئ المغربية وكذلك إنشاء بنك دولي من رأسمال أوروبي يكون تحت إشراف رباعي: فرنسي-ألماني-إنجليزي-إسباني، بحيث كان هدف الامبراطورية إلى جانب معرفة مدى صلاحيتها أو هشاشة الوفاق الودي.²

كان هذا المؤتمر قد أكد على سيادة المغرب وألغى جميع الاتفاقيات السرية القائمة بين الدول الأوروبية، إلا أنه وضع المغرب في وضعية دولية كلفت بها فرنسا.³

بسبب الأوضاع المزرية التي عاشها المغرب الأقصى غُزل السلطان عبد العزيز لأنه لم يتمكن من وضع حد لهذه المواجهات وإيجاد حلول لها وعليه نصب أخاه عبد الحفيظ على العرش لكن هذا الأخير دخل في مشاكل وصراع دموي مع الشعب المغربي مستعينا بفرنسا التي قدمت له يد المساعدة، ودخلت فاس في 21 ماي 1911م وبعدها مكناس والرباط وهذا ما أثار حفيظة ألمانيا التي أرسلت قطعة حربية في 01 جويلية إلى المياه المغربية واستطاعت بذلك ألمانيا في احتلال فرنسا لهذه المدن وكذلك الدار البيضاء مبرا للقيام بعمل مماثل فسارعت في احتلال أغادير والعريش والقصر.⁴

وجراء هذه الأحداث خاصة بعد تلك الثورة المحلية التي تزعمها الشريف الإدريسي الكتاني ضد السلطان وجد هذا الأخير نفسه عاجزا على مواجهة الأحداث الداخلية وكذلك بسبب

1- مؤتمر الجزيرة الخضراء: عقد المؤتمر في مدينة صغيرة على الساحل الجنوبي لإسبانيا، انعقد في يناير 1906م، حضره معظم دول مؤتمر مدريد بالإضافة إلى روسيا، ينظر: صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر - تونس - المغرب الأقصى، ط6، مزودة ومنقحة، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993م، ص ص 232-233.

2- بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص ص 276-277.

3- علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط6، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003م، ص 107.

4- بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص ص 277-278.

الإبادة الجماعية الفرنسية في فاس ما بين 17 و 18 أبريل 1912م، مما دفعه بالإستنجاد بالفرنسيين الذين وجدوا الفرصة للتدخل سائحة للتدخل العسكري المباشر وكان لهم ما أرادوا بقيادة المارشال ليوتي الذي فرض على السلطان المغربي معاهدة ووقع عليها في 3 مارس 1912م.¹

شملت المعاهدة على نقاط من بينها:

- ❖ اتفاق الحكومتين حكومة الجمهورية والسلطان على إجراء إصلاحات التي تراها الحكومة الفرنسية ضرورية لذلك ومناسبة وتشمل الإصلاحات القضائية والمالية والعسكرية.
- ❖ قبول السلطان بتشريع الحكومة الفرنسية يمد إعلام المخزن في الإحتلالات العسكرية التي اعتبرها ضرورية في القطر المغربي للمحافظة على النظام وعلى أمن المعاملات التجارية كما يقبل من الآن بأي عمل من أعمال الشرطة في البر والمياه المغربية.
- ❖ تعهد الحكومة الفرنسية باحترام الدين الإسلامي وأن كل إصلاحاتها لا تمس الدين ولا تلحق أي ضرر بالجمالية الدينية كما لا تلحق أي ضرر بنفوذ السلطان.²

بناء على معاهدة الحماية، انطلقت فرنسا في تنفيذ سياستها القائمة على استغلال المتنوع للبلاد وعملوا على التفرقة بين العرب والبربر.³

أثر إمضاء المعاهدة تحولت الحماية الفرنسية إلى استعمار مباشر وبموجبها أصبحت المنطقة فرنسية عدا طنجة والمنطقة الإسبانية أي المنطقة الخاضعة لإسبانيا، كما عين المارشال ليوتي مقيما عاما عليها، وبعد تخلي السلطان عبد الحفيظ عن عرشه بسبب شعوره أنه باع وطنه وتنازل عن عرشه لأخيه بن يوسف في 12 أوت 1912م وانتقل إلى طنجة وفسح المجال لفرنسا في التوسع لاحتلال الأراضي المغربية.⁴

¹ - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 278.

² - حزب الإستقلال، المغرب الأقصى قبل الحماية، عهد الحماية، إفلاس الحماية، مكتب المستندات والأبناء، دت، المغرب، ص 62.

³ - رأفت الشيخ، تاريخ العرب المعاصر، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دار روتابريت للطباعة، 1996، ص 151.

⁴ - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 278.

كما كانت لثورة الإبن الأكبر لعبد الكريم الخطابي القاضي محمد بالغ الأثر وذلك سنة 1912م وما حققته من انتصارات كبيرة على الإسبان في منطقة أجدر وهي أكبر هزيمة يتلقاها الإسبان والتي أدت بفشل هذا الأخير أمام ثورة الريف وراحوا يغيرون الضباط وكان ذلك خلال (1924م - 1922م) وعلى إثرها استطاع بن عبد الكريم من بسط سيطرته على قبائل الريف ونظم حكومة عاصمتها أجدر وبالتالي أعلن قيام جمهورية الريف، وأمام ضربات ثورة الريف خضعت إسبانيا للأمر الواقع وحاول عقد هدنة معه لكنها فشلت بسبب تدخل فرنسا، وقد حاول بن عبد الكريم من جهة مفاوضة الفرنسيين لكنهم أفضلوا هذه المحاولة لأنهم كانوا يتخوفون من هذه الثورة، وتحت حصار القوات الفرنسية والإستعمارية لجأ الزعيم محمد بن عبد الكريم إلى التفاوض وأبدى استعدادة لقبول الصلح، وقد قبلت كل من فرنسا وإسبانيا بذلك وتم الصلح في وجدة بتاريخ 15 أبريل 1926م، لكن السلطات الفرنسية عمدت على إفشال المفاوضات لتعلن الحرب من جديد.¹

ب- اقتصاديا واجتماعيا:

من أهم الأسباب التي أدت بفرنسا أن توجه أنظارها نحو المغرب الأقصى هو ثرواتها الطبيعية التي تزخر بها فمنذ بدء نظام الحماية 1912م، وهي تعطي الجانب الاقتصادي عناية كبيرة، وظهر ذلك من خلال مشاريع ومخططات الجنرال ليوتي التي كانت تسعى لتنظيم القطاع وتطويره، حيث قسم المغرب اقتصاديا إلى قسمين القسم الأول تمثل في الأراضي الخصبة التي تقع غرب جبال الأطلس بمحاذاة الشاطئ الأطلسي فسماه بـ "المغرب النافع" أما القسم الثاني فتمثل في المناطق الشرقية الجنوبية وأطلق عليه بـ "المغرب الغير نافع".²

¹ - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 279-280.

² - روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، تر: نقولا زيادة، دار الكتاب للنشر والتوزيع، دار الثقافة العربية، بيروت، 1980م، ص 129.

- النشاط الزراعي:

يعتبر المغرب الأقصى بلد زراعي من الدرجة الأولى وتعد الزراعة المورد الرئيسي له، لذلك اهتمت الإدارة العامة به اهتماما كبيرا وظهر ذلك في مشروع نزع الأراضي من ملاكها وتقديمها إلى الأجانب المقيمين بالمغرب الأقصى،¹ كانت استراتيجية بالمغرب تتميز باعتبارها أن الأراضي لا تباع إلا لأفراد القبيلة نفسها إلا أن الأرض لا تخرج من حيز العشيرة أو القبيلة، هذا العرق أعاق سياسة الاستعمار الفرنسي مما دفع به إلى اللجوء لإدارة أملاك الخزينة التي قامت بانتزاع الأراضي من أصحابها وضمها إلى أراضي الجيش، كما قامت بخلق شكاوي ضده من أجل الاستيلاء على أرضه، وقامت بفرض الضرائب على الفلاحين واستغلال الديون التي تراكت عليهم.²

- الصناعة:

أولى ليوتي اهتماما كبيرا بمجال الصناعة من خلال إصدار تشريع 18 جانفي 1914م، الذي نص على ترك الحرية للمشروعات الخاصة للقيام بالتنقيب عن الثروات المنجمية واستغلالها شرط الحصول على ترخيص بذلك يمنح لأول المتقدمين، كما أصدر ليوتي بعد الحرب العالمية الأولى ظهير في 27 فيفري 1920م، احتفظ للدولة بأحققتها في التنقيب على الفوسفات بمنطقة وادي زم في بدايات 1917م وفي 15 سبتمبر 1923م، قام الجنرال ليوتي بإصدار ظهير آخر ينص على إمكانية تدخل الدولة مباشرة بالصناعات الإستخراجية كما سمح للمصالح والمؤسسات العامة بالمطالبة بسندات منجمية كما ظهر ظهير آخر ينص على إنشاء مكتب الأبحاث.³

¹ - ألبير عياش، المغرب والإستعمار حصيلة السيطرة الاستعمارية، تر: عبد القادر الشاوي وآخرون، جريدة المناضل، ط1، الخطابي للطباعة والنشر، 1895م، ص 172.

² - عبد المالك خلف الله التميمي، الاستيطان الأجنبي بالمغرب الأقصى، مجلة عالم المعرفة، ع71، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر 1983م، ص 30.

³ - أحمد عسه، المعجزة المغربية، ط1، دار القلم للطباعة، بيروت، لبنان، 1974م، ص ص 603-604.

في حين تمثل الوضع الاجتماعي في المغرب الأقصى في ظل الاحتلال الفرنسي في:

المنشآت العمرانية: في جانب المواصلات لم يكن المغرب يتوفر على موانئ لاستقبال لذلك اهتمت السلطات الفرنسية بهذا الجانب من أجل نقل المنتجات المستوردة واستنزاف ثروات البلاد المغربية من مواد طاقوية وخامات، ولا يمكن ذلك إلا بإنشاء موانئ وإقامة الطرق من أجل تسهيل عملية الاختراق داخل الأراضي المغربية، بالإضافة الى انتقال المعمرين والجيوش الفرنسية.¹

أما من الجانب الحضاري، أصدر الجنرال ليوتي مرسوم خاص من أجل إقامة مدينة عصرية بمكناس سنة 1916م، حيث أولى للمجلس البلدي مهمة اقتناء قطع الأراضي لتشييد عليها أبنية حديثة،² ولقد تم إنشاء هذه المدن العصرية لأجل الجالية الأوروبية، حيث طبقت هذه السياسة في كل أرجاء المغرب، وتم إنشاءها بالقرب وخارج التجمعات السكانية المغربية، المعروفة باسم المدن القديمة، حيث تم وضع مخطط يقوم على تقسيم قطعة الأرض إلى مناطق وقطاعات متعددة لها اختصاصاتها يتوسطها ساحات وحدائق.³

¹ - ألبير عياش، مرجع سابق، ص 124.

² - قدور بوزياني، مكناس المدينة الجديدة، التأسيس، البنايات الإدارية، التناقضات (1911م-1939م)، مجلة مكناس، ع13، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1999م.

³ - ألبير عياش، مرجع سابق، ص 135.

ت- دينيا وثقافيا:

تميز القطر المغربي عامة خلال القرن التاسع وبداية القرن العشرين بأوضاع ثقافية مزرية وكان ذلك بسبب سيطرة الاستعمار الفرنسي، عدا المغرب الأقصى الذي امتاز بنوع من الاستقلال.

بعد استلاء فرنسا على الجزائر وتونس، وجهت أنظارها على المغرب الأقصى سنة 1912م، وخلال فترة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت وضعية المغرب الأقصى من الناحية الثقافية تتميز بقوة نشاط الزوايا وظهور الكتاتيب، وانتشار الطرق الصوفية التي اعتبرت آنذاك أكثر المؤسسات الثقافية شيوعا وانتشارا، والتي تميزت بالتنوع مع تعدد مؤسسيها حيث وصلت خلال هذه الفترة إلى أربع طرق هامة أثرت على العقلية المغربية وهي الطريقة التيجانية والطريقة الكتانية والطريقة القرداوية والطريقة البوعزاوية، والتي كان لها دورين تعليمي وديني.¹

وما ميز هذا الوضع الثقافي في المغرب الأقصى خلال هذه الفترة إضافة إلى الطرق والزوايا، ظهور عدة مدارس مهمة، منها مدرسة مولاي عبد الله بقاس، التي كانت تستقبل أبناء الموظفين بالدرجة الأولى كما احتلت جامعة القرويين مكانة بارزة وقد أولاهها العديد من الكتاب والمؤرخين أهمية بالغة باعتبارها مؤسسة ثقافية ومركزا فكريا، نظرا للدور البارز الذي كانت تلعبه في تثقيف أبناء المجتمع المغربي.²

كما شكلت كتابات الضابط أدينو التي كانت تتحدث عن فصل المسلمين المغاربة عن الإسلام وضرورة تنصيرهم لأنه كما يرى أنه هو السبيل الوحيد الذي يتيح السيطرة عليهم وعليه يظهر جليا مدى تركيز الكتاب في كتاباتهم على مسح الهوية الثقافية المغربية والمتمثلة في الإسلام تحديدا كشرط لتحقيق سيطرتهم عليهم وضمهم إليهم والتي بدأتها بمحاربة اللغة العربية.³

¹ - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص 280.

² - نفسه، ص ص 281-282.

³ - فاتح بوفروك، الظهير البربري في المغرب الأقصى من خلال مجلة المنار (1930م-1934م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العلاقات بين المشرق والمغرب في الفترة الحديثة والمعاصرة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2010م-2011م، ص ص 30-31.

الفصل الأول: السياسة البربرية الاستعمارية في الجزائر

(1830م – 1930م)

المبحث الأول: مفهوم ودلالة السياسة البربرية

المبحث الثاني: محاربة اللغة العربية وتشجيع اللهجات الدارجة والبربرية

المبحث الثالث: إصدار القوانين المميزة للمناطق البربرية

المبحث الرابع: التبشير والتنصير في مناطق ذات تواجد بربري

المبحث الخامس: نماذج من البحوث والدراسات الفرنسية حول المناطق البربرية وكثافتها

تمثلت السياسة البربرية في الجزائر، في سعي السلطات الفرنسية على تنفيذ مخطط جهنمي، هدفت من ورائه القضاء على مميزات الهوية الجزائرية وإصدار القوانين المميزة، حيث ركزت جل جهودها على منطقة القبائل لوجود العنصر البربري فيها.

المبحث الأول: مفهوم و دلالة السياسة البربرية

هي سياسة ظهرت منذ الفترة القديمة والتي أصبحت من تقاليد الإستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا والتي تهدف الى مقاومة الإسلام بصفة كونه قانونا، ومقاومته بصفته وكونه حارسا للثقافة العربية، وهي تلك السياسة التي طبقتها فرنسا عندما وضعت يدها على شمال إفريقيا، فكرت في أن تضم إليها هذه الأمة المغربية المسلمة الممتدة من تونس، الجزائر والمغرب الأقصى، ضما نهائيا والتي أجمع مبشرها ومستعمرها أنه من الضروري إبادة الإسلام من هذه البلاد ليتمكن الاطمئنان عليها.¹

هناك نوعين متميزين من البدو، النوع الأول هم السكان الذين يسكنون السهول والذين أصلهم من الشرق وينحدرون من قبائل عربية مختلفة هم العرب الحقيقيون، أما الذين يسكنون الجبال والأماكن الوعرة فهم البرابرة الحقيقيون (القبائل).²

أما عن نسب البربر،³ فيذكر ابن خلدون: « أنهم من ولد كنعان ابن حان ابن نوح، واسم أبيهم مازيغ وإخوتهم أركيش وفلسطين، إخوانهم بني كسلوحيهم ابن مصرايم ابن حام، وملكهم جالوت سمة معروفة له »⁴ في حين يذكر انتقلهم إلى بلاد المغرب في القرن الثاني عشر ق.م أن قبائل أمازيغ ابن كنعان انتقلوا من اليمن والشام إلى بلاد المغرب، مع ملكهم إفريقش ابن الملك ذي المنارين الرائش الذي ساقهم إليها وأسكنهم فيها.

¹ - محمد المكي الناصري، فرنسا وسياساتها البربرية في المغرب الأقصى، ط2، شركة بابل، الرباط، 1993م، ص15.

² - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تق وتعر وتتح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2005م، ص15.

³ - البربر: تعني اختلاط الأصوات الغير مفهومة، فذكر ابن خلدون أن قيل لهم ما أكثر بربركم، فسموا بربرا، عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان

الأكبر)، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000م، ص 117.

⁴ - نفسه، ص 127.

كانت الجزائر الإنطلاقة الأولى والميدان الأول الذي بدأ فيه الفرنسيون بتجربته البربرية قصد تفرقة الشعب وفصل عناصره عن بعضها البعض وهذا ابتداء من سنة 1859م، أما المغرب الأقصى لم يكن نفس الأمر الذي حصل مع الجزائر لأن فرنسا قائمة على معاهدات دولية وثنائية تقيد نفوذها.¹

يرى الإستعمار الفرنسي أن السياسة البربرية هي خير علاج يعالج به الموقف وأحسن سلاح تحارب به الأخطار القادمة، لأن هذه السياسة تعمل على إحياء الأعراف البربرية القديمة قبل الإسلام وإدماجها في القانون الفرنسي، ولتكون خليط منها لتفرضه على المغاربة حتى يتحاكموا عليه، بدلا من القانون الإسلامي.²

إن السياسة البربرية هي آخر ما اهتمت إليه الإدارة الفرنسية للقضاء على مقومات المغرب العربي وإدماجه في حظيرة العائلة الفرنسية، وظلوا يبحثون على سبيل الذي يستطيعون من خلاله الإمتلاك الدائم لشمال إفريقيا وتعميره بالمسيحيين من العنصر الأجنبي إلا أنهم لقوا وقوفا من طرف السكان الأصليين المتمسكون بوحدتهم وإسلامهم وعروبته، حيث فكرت فرنسا بالقضاء على هذا العنصر هو هجرة هذا العنصر وإعطائهم الإمتيازات، إلا أنه لم يجد نفعا ولم يتحصل على نتيجة، إذ وجد أن الحل الوحيد هو تجنيس المغاربة لكنهم رفضوا الإندماج في غيرهم.³

المبحث الثاني: محاربة اللغة العربية وتشجيع اللهجات الدارجة والبربرية

منذ أن وطأت أقدام فرنسا في الجزائر وهي تحاول بشتى الطرق والأساليب لتطبيق سياستها الإستعمارية والتي تتمثل في هدم المقومات الشخصية والمعنوية للشعب الجزائري وذلك بهدف تذويب الأمة الجزائرية ودمجها في الأمة الفرنسية.

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة كفاح (التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية العربية)، ج3، ط1، مؤسسة جواد للطباعة والتصوير، بيروت، 1984م، ص ص 12-13.

² - محمد المكي الناصري، مصدر سابق، ص 16.

³ - علاء الفاسي، مصدر سابق، ص 161.

كانت اللغة العربية باعتبار الفرنسيين لغة أجنبية في الجزائر، كما اعتبروا اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية ولغة السيادة، وتبين موقفهم جليا من خلال الدين الإسلامي لأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ولغة الحضارة التي كتب بها تراث الجزائر خاصة والدول الإسلامية عامة،¹ وتبين ذلك من خلال ما أكدته غلاة الاستعماريين أمثال "جاك شوفالي" الذي (أكد بضرورة جعل اللغة العربية لغة رسمية) رد على مطالب الوطنيين الجزائريين الذين طالبوا بضرورة جعل اللغة الفرنسية لغة رسمية حيث قال: « إن تعليم اللغة العربية إجباريا يعني دفع المسلمين أكثر فأكثر إلى الإسلام وتمكين العلاقة مع الجامعة العربية وذلك يعني إدخال البربر تحت سلطة الإسلام عن طريق اللغة العربية»، كما صرح "يوتي" أيضا بقوله: « اللغة العربية هي عامل الأسلمة، لأنها لغة القرآن ومصلحتنا تستلزم علينا أن نخرج البربر في إطار الإسلام، وكإحدى الأدوات، لذلك علينا أن نستعمل اللغة فيستوجب علينا إذا ربط البربرية بالفرنسية، لهذا نحن بحاجة إلى المتبربرين وينبغي أيضا إنشاء المدارس الفرنسية البربرية ».²

لم يكن موقفهم يتمثل في الدين الإسلامي فقط، بل كان لهم موقفا سياسيا واضحا أيضا لأن اللغة العربية هي لغة البلاد الإدارية والقضائية والتعليمية، فإن إدارة الأقاليم والأوطان والجماعات والمدارس والمحاكم كانت كلها باللغة العربية.³

وهكذا سعت في محاربة اللغة العربية الفصحى بمختلف الأساليب والطرق بغية إبعاد الشعوب عن مصادر الشريعة الإسلامية وفي مقدمتها القرآن الكريم والسنة النبوية ثم كتب التفسير والفقهاء زمن بعدها جميع كتب العلوم الإسلامية والعربية وذلك لمحاربة الإسلام وهدم وحدة المسلمين.⁴

¹ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط خ، دار الرائد، الجزائر، 2009م، ص 140.

² - ينظر مقال: ليلى مصلوب، الدعوة البربرية والدارجة صناعة استعمارية فرنسية (لقاء مع الدكتور مصطفى نويصر)، جريدة

الشروق، 2018/04/20م، تاريخ الولوج 15 فيفري 2021م، على الساعة 15:00، على الرابط:

(echoroukonline.com)

³ - سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، مرجع سابق، ص 140.

⁴ - عبدالرحمان حسن حنبكة الميداني، أجنحة المكر الثلاث ومخاوفها التبشير - الاستشراق - الاستعمار، ط8، دار القلم، دمشق، 2000م، ص 354.

ولحاربة التعليم لجأت فرنسا لتطبيق عدة أساليب في منطقة القبائل أهمها:

أ- فرنسة شعوب المنطقة:

اعتبر الفرنسيون من خلال تجسيد مشروعهم الاستعماري بالمنطقة (القبائل) أن أحسن وسيلة لاستيعاب القبائل وصهرهم في بوتقة المجتمع الفرنسي العربي هو نشر التعليم الفرنسي بينهم، وحوله ظهرت فكرة ترسيخ التعليم الفرنسي في المناطق المكتظة بالسكان حول المدن الكبرى ومنطقة القبائل المؤهلة لاحتضان المشروع الثقافي والديني الفرنسي فأول مدرسة فرنسية فتحت بالمنطقة كانت في تيزي وزو وهي مدرسة عربية فرنسية ظهرت في عهد الإمبراطورية الثانية وبقيت حتى سنة 1870م ضعيفة وكذلك عرف عهد مكماهون سنة 1866م تأسيس مدرسة الفنون والمهن بفورناسيونال إلى أن رد المستوطنين كان ظاهرا من خلال مناهضتهم لهذه السياسة كما أدت إنتفاضة 1871م التي كانت تضم في صفوفها التلاميذ القدماء المتخرجون من المدارس الفرنسية، غلق أبواب معهد الفنون والحرف كما لقيت المدرسة العربية في تيزي وزو نفس المصير وكان ذلك سنة 1873م.¹

ب- إنشاء المدارس القبائلية:

أخذت الحركة التعليمية طابعا رسميا وكان ذلك في 12 فيفري 1873م، عندما فرض الكولونيل قائد دائرة Fort national على الحاكم العام (De geydon) برنامجا يقضي بفرنسة القبائل وأن يلغى نهائيا جميع المدارس العربية، الفرنسية وأن يلقي الزوايا في طي النسيان، وأكد أنهم عملوا في تعريب الشعب أكثر من فرنسته،² وبعد حديث أجري بين الحاكم العام ومع مدير الدراسات، أعلن دوقيون أنه

¹ - مزيان سعيدي، السياسة الاستعمارية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها 1871م-1914م، ج2، ط1، دار سنجاق الدين للكتاب، 2010م، ص ص 150-151.

² - شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871م-1919م، تر: حاج مسعود وبكلي، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007م، ص 610.

قد برمج لإنشاء مدرستين أو ثلاث مدارس فرنسية في بلاد القبائل تكون أعباؤها المالية على عاتق البلديات الأهلية، وقد التزم الأعيان بذلك، وبعدها انطلق في إنشاء مدرسة لائكية في بني ايرتن بثامازيرث.¹

في بداية الحكم المدني كانت فكرة تعليم سكان منطقة القبائل صعبا نوعا ما، ولتسوية الوضع بات دوقيون مستعجلا في إدخال المدرسة اللائكية إلى المنطقة وعليه قال إميل ماسكاراي سنة 1876م « إذا صدق عزمنا، فإن بلاد القبائل ستتحول في ظرف جيلين وتصير فرنسية، ويكفي لتحقيق هذا أن نعين معلما في كل قبيلة »، كما صرح بول بوند Paul bound سنة 1879م بأن « تعليم القبائل تم انتزاعهم من ظلمات التوحش هو الوسيلة الوحيدة لتحريرهم ويجب أن نحرص بالأخص لاجتناب اللجوء إلى الإكراه ».²

كانت نوايا الفرنسيون واضحة في غزو المنطقة فكريا واشتد نشاطهم رغم تغيب التلاميذ عن الدراسة بسبب خشية أوليائهم من تعلم أولادهم الرومية حيث كان تمسكهم بالتعليم التقليدي الذي يتمثل في تعليم القرآن واضحا خاصة ما كانت تقدمه المدارس القرآنية والتي عرفت مضايقات رهيبة من طرف المستعمر الفرنسي خاصة السلطات الإدارية.³

ت- الاهتمام باللهجات على حساب اللغة العربية:

ومن أساليب سياسة الفرنسة ومحاربة اللغة العربية أيضا الاهتمام باللهجات المحلية واللسان العامي على حساب تعلم اللغة العربية الفصحى واستعمالاتها وحول هذا أحدث رجال الإدارة الفرنسية بالجزائر إجازات باللهجات البربرية وشهادات باللسان العامي الدارج، واعتبروها ماثلة أو بديلة عن اللغة العربية

¹ - سعيدي، السياسة الإستعمارية ...، مرجع سابق، ص ص 151-152.

² - نفسه، ص 152.

³ - نفسه، ص 154.

الفصحى،¹ وكان هدفها من كل هذا هدم المقومات المعنوية للمجتمع وذلك باعتمادها على إجراءات ضد اللغة العربية وخلق ضرات لها كتعليم الدارجة واللهجة القبائلية في المدارس على حسابها.²

ث- إيهام الناس بأن اللغة الفصيحة لغة صعبة:

حاول مفكرو الاستعمار الفرنسي إيهام الناس أن يجعلوا من اللغة العربية الفصحى لغة صعبة وميتة مثل اللغة اللاتينية، مؤكدين أن اللغة العربية الفصحى لا توجد إلا في الخطب المسيحية والدروس والأذكار، وبالتالي فهي لغة طقوس على حسبهم تستعمل في الدين.³

ج- تشجيع لهجات الدارجة والبربرية:

مر الكفاح ضد التعريب عبر ترقية اللغة القبائلية التي سعت فرنسا إلى الحفاظ على لهجاتها المختلفة، وذلك لكي لا تكون العربية في هذه المناطق لغة الثقافة ولسان التخاطب، ومن بين مبادرات المتخذة في هذا المجال إنشاء كرسي اللهجات البربرية في 1885م بدار الآداب بالعاصمة، وكانت العربية ودراساتها غير مشجعة بل القبائل ممنوعة في المدارس الفرنسية وهما العنصران المحركان لهذه "السياسة البربرية"، وخلال سنة 1910م طالب الحكومة العامة تحقيق على توزيع اللغة البربرية بالجزائر استثماره قوتي Gautier و دوطي Doute وهما مدرسان كلّفا بفرز النتائج والتعليق عليها، ظل الكفاح ضد التعريب مكثفا، وفي سنة 1915م أكره لقضاة الموثقون على تقديم شهادة في اللغة القبائلية كي يمارسوا مهنتهم.⁴

¹ - سعيد بوخاوش، الاستعمار الفرنسي وسياسة الفرنسية في الجزائر، دار تفتيل للنشر، 2013م، ص 102.

² - جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، وحدة الطباعة بالروية (الجزائر)، 1994م، ص 132.

³ - سعيد بوخاوش، مرجع سابق، ص 101.

⁴ - كميل ريسليير، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها 1830م-1962م، تر و تع: نذير طيار، ط1، دار

كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، 2016م، ص ص 218-219.

المبحث الثالث: إصدار القوانين المميزة للمناطق البربرية

رغم ما قامت به السلطات الإستعمارية الفرنسية في حق الشعب الجزائري بسياستها القهرية اتجاهه من قتل وتعذيب ونهب وسلب وتمييز عنصري، إلا أنها لم تقتنع من ذلك حيث أنه رافق المقومات الحضارية للشعب الجزائري وتجريده من ممتلكاته مجموعة من القوانين التعسفية قصد استنفاد الطاقات البشرية والتحكم في الشعب الجزائري ومن بينها قانون كريميو وقانون التجنيد الإجباري.

أ- قانون كريميو 24 أكتوبر 1870م:

في 24 أكتوبر 1870م أصدر كريميو¹ مرسوم ينص بتجنيس اليهود في الجزائر وتغيير الوضع السياسي، وإدخال نظام المحلفين في القضاء، كان تجنيس اليهود جماعيا دون استشارتهم عملا، ولعل اليهود أنفسهم قد استعربوا ما داموا لم يطلبوا التجنيس الجماعي وقد كانت مراسيم كونسيلت 1856م حول الجنسية يسري على الجزائريين، أما قرار كريميو لم يترك لهم الخيار.²

وأهم ما جاء في هذا القانون ما يلي:

- ❖ إقامة نظام مدني في الجزائر يهدف إلى إلحاق هذا البلد العربي البربري الإفريقي بفرنسا بالقوة العسكرية وجعله جزء لا يتجزأ منها رغم رفض سكانها الأصليين لهذا الإجراء.
- ❖ تعيين حاكم عام مدني للجزائر تابع لوزارة الداخلية الفرنسية يعوض الحاكم العام الفرنسي للجزائر الذي كان تابعا لوزارة الحربية.
- ❖ منح الجنسية الفرنسية لليهود المقيمين بالجزائر بصفة جماعية دون التخلي عن عقيدتهم الدينية.³

1- كريميو: هو اليهودي أدولف إسحاق كريميو، ولد بمدينة تيم سنة 1706م، دأب على الدفاع عن مصالح يهود الجزائر إلى أن أثمرت جهوده بإصدار قانون "كريميو" من قبل حكومة الدفاع، رابح لوئيسي، تاريخ الجزائر المعاصر 1830م-1989م، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص 83.

2- سعد الله، أبحاث وآراء...، ج5، مرجع سابق، ص 134.

3- فطيمة الشبخ، قانون كريميو 24 أكتوبر 1870م أو تجنيس اليهود، الاختيارات الصعبة في ظل الهيمنة الإستعمارية، مجلة الحوار المتوسطي، ع 15-16، مارس 2017م، جامعة سيدي بلعباس، ص 522.

كان موقف الأهالي من هذا المرسوم هو الرفض لسببين، الأول ديني بحكم أن فرنسا اعتبرت أن العدالة مختلفة وأن اليهود من أهل الكتاب لذلك يجب أن يكونوا في المرتبة الثانية للمسلمين، والثاني سياسي واجتماعي وهو الخوف من انتقام اليهود من المسلمين في مجالات القضاء والإدارة.¹

ب- قانون التجنيد الاجباري 1912:

من المسائل الاستعمارية الهامة في منطقة القبائل والتي تناولها العديد من المؤرخين والكتاب الفرنسيين في ثنايا كتاباتهم التجنيد الإجباري.

عندما نتكلم عن الخلفيات والواقع لهذا القانون نجد أن وارنبيه² أسدى عدة ملاحظات على الجندي البربري منذ عهد القرطاجيين والرومان إلى عهد الاحتلال الفرنسي، فوجد أن البربري أكثر مهارة وقدرة وتمرس في الحملات البعيدة عن غيره، ذلك أن جيش حنبعل الذي غزا مدينة روما، كان من البربر فقط، وأن أسطول قرطاج كان منهم، كما أن الأسطول الجزائري أثناء العهد العثماني كان من صنع عمال من البربر، وعليه رأى وارنبيه أن الجندي البربري جندي كامل، أما الجندي العربي فهو واسطة بين الدركي والحرس الوطني لأن من طبيعته أيضا عدم الابتعاد عن نسائه وقبيلته وماشيته، ولذلك نصح من تجنيد فرنسا للبربر لأنهم قادرون على الحرب في كل الظروف.³

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830م-1900م، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، ص 241.

² - من كبار النواب المدافعين على مصالح المستوطنين في الجزائر، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج6، مرجع سابق، ص 317.

³ - نفسه، ص ص 317-318.

لم تكن فكرة تجنيد الأهالي الجزائريين بفكرة جديدة، بل تبنتها الإدارة الفرنسية إثر المناقشات التي انطلقت منذ بداية القرن العشرين، لتصبح قانونا إجباريا على الجزائريين قبوله وتنفيذه مرغمين إبتداء من إصدار مرسوم 03 فيفري 1912م.¹

التجنيد الإجباري² هو قانون سياسي ينص على تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي صدر في يوم 03 فيفري 1912م من قبل البرلمان الفرنسي، الذي اتخذ قرارا بإجبار الجزائريين على الخدمة العسكرية بصفتهم رعايا فرنسية، نشر في الجريدة الرسمية Le Mobacher ضمن 30 مادة مقسمة على أربعة أبواب.³

شكلت سياسة التجنيد الإجباري خطرا كبيرا على المجتمع الجزائري، خاصة وأن الفكرة انبثقت مع إتمام الفرنسيين احتلالهم للعاصمة، حيث تنبه دوبرمون إلى استراتيجية هامة وهي إشراك الأهالي في السيطرة على البلاد والتحكم فيها، علما أنه أبدى إعجابه الشديد بالروح القتالية والاستبسال عند الجزائريين وخاصة سكان منطقة القبائل فحاول تجنيد 2000 رجل من قبائل زاوارة ولكن المشروع جسده خليفته كلوزيل الذي أصدر قرار 12 ديسمبر 1830م حيث تم موجه تشكيل فرق الزواف.⁴

ومن بين المشاريع التي شرعت في التحضير لتطبيق التجنيد الإجباري نذكر مشروع ميسيمي الذي نص على فرض التجنيد الإجباري على الجزائريين البالغين 18 عاما ولمدة ثلاث سنوات لكن المشروع لقي رفضا من طرف اللوبي الاستعماري، فشككت جرائد المستوطنين في قابلية الأهالي

¹ - محمد الصالح بجاوي، متعاونون ومجندون جزائريون في الجيش الفرنسي 1830م-1918م، دار القصة للنشر، 2009م، ص 349.

² - ينظر الملحق رقم (01)، ص ص 89-90.

³ - حميد أيت حبوش، قانون التجنيد الإجباري 1912م، دراسة في ظروف صدوره و موقف الجزائريين منه، مجلة الحوار المتوسطي، م9، ع2، سبتمبر 2018م، جامعة وهران 01، ص 279.

⁴ - سعيدي مزيان، السياسة الإستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، بوزريعة 2008م-2009م، ص 114.

للخضوع للانضباط العسكري بالنظر إلى طبائعهم التمردية، كما شددت على خطر تدريبهم على الأسلحة، بل سيسمح باحتكاك الأجناس وتفتح أعين المجندين الجزائريين على مطالب أخرى كالمساواة في الرواتب والرتب والتقاعد وحقوق المواطنة وإلغاء قانون الأهالي وغير ذلك من الأمور.¹

أما موقف السكان جراء هذه السياسة فتمثلت في جملة من العرائض للوفود الذين تشكلوا من جماعة النخبة الذين عبروا أن قانون التجنيد الإجباري كان معاديا للديمقراطية وأنه غير عادل كما تضمنت العريضة أيضا اقتراحات ومطالب منها بناء هذا القانون على الحرية والعدالة والمساواة، وكما كانت للاحتجاجات نصيب من هذه المعارضة، خاصة في منطقة بني مزاب، حيث بعثوا يوم 23 فيفري 1912م شكاوي الى كل من رائد غرداية والوالي العام ورئيس الحكومة، يشرح فيها أسباب رفض التجنيد الإجباري الذي بدوره يتعارض مع الدين الإسلامي.²

كما كان للشعب الجزائري رد هو الآخر على هذه السياسة والتي تمثلت في المقاومات الشعبية كثورة الأوراس 1916م التي تعتبر ثمرة احتجاجات سكان الأوراس والتي كان الأهالي وشيوخ الزوايا أتباع الرحمانية من مؤيديها، ورغم هذه الاحتجاجات في كل مناطق البلاد، إلا أن الإدارة الفرنسية لم تتوقف عن إدعاء أن الجزائريين كانوا مخلصين وموالين لفرنسا في هذه الحرب.³

المبحث الرابع: التبشير والتنصير في مناطق ذات تواجد بربري

من خصائص الإستعمار، سياسة فرق تسد، والتي كانت إحدى السبل التي اعتمدت عليها فرنسا لتثبيت دعائمها طيلة الاحتلال،⁴ وفي الجزائر ارتبط النشاط التنصيري بالمشروع الإستعماري الفرنسي منذ سنة 1830م، حيث أصبحت أرضا خصبة للتنصير.⁵

¹ - مزيان، السياسة الإستعمارية...، مرجع سابق، ص 115.

² - محمد الصالح بجاوي، مرجع سابق، ص ص 377-379.

³ - نفسه، ص 377-379.

⁴ - خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830م-1871م، دار دحلب، الجزائر، 2007م، ص 135.

⁵ - جمال حواوسة، أساليب ووسائل التنصير في المؤسسات التعليمية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع 14، 2018م، قسم

علم الاجتماع، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص 346.

لم يهدأ المسيحيين لمصير الإحتلال، وبالرغم من مرور ثماني سنوات دائمة على إحتلال فرنسا للجزائر إلا أن المسيحية لم تكن مستقرة في الجزائر بصفة دائمة بسبب تأخر الأسقفية بسبب المشاكل التي حصلت بين البابا والملوك لويس فليب حول من يحق له تعيين رجال الدين، ومشاكل الاستعمار التي كانت عائقا للإهتمام بالأمور الدينية، وهذا ما جعلهم يكثرثون لحالة الديانة المسيحية بالجزائر، هذا ما جعل أحدهم يكتب وزير الحربية يشكو إليه هذه الحالة قائلا: « منذ حوالي ثماني سنوات والعلم الفرنسي يخفق على سواحل إفريقيا ولم نقدم حتى الآن بأي شيء من شأنه أن يساعد على انتشار الدين ونفوذه... »¹.

أولا: مفهوم التبشير والتنصير وأهدافه:

أ- مفهوم التبشير:

التبشير مأخوذ من فعل بشر، أي فرح، يكون التبشير بالخير إذا كانت البشارة مطلقة أما رجال الكنيسة النصرانية يرون أن المبشرين هم الذين يقومون بتنصير الجماعات الغير نصرانية خاصة المسلمين منهم، أما المبشرين فيرون في أنفسهم أنهم يقومون بتجنيد أنفسهم للقيام بأعمال ومهام تبشيرية.²

التبشير في معناه الأصلي: هو دعوة لإتباع ما جاء به الإنجيل من عقائد وتعاليم، ويقصد به نزع عقيدة فرد أو مجموعة من أفراد من عقيدته الأصلية وإدخاله للعقيدة والديانة المسيحية.³

ب- مفهوم التنصير:

هو الدعوة إلى الديانة النصرانية أو الإدخال الغير النصراني في الديانة المسيحية باستخدام الطرق والوسائل الممكنة لذلك، فالتنصير حركة استعمارية دينية جاءت كنتيجة فشل الحروب الصليبية، هدفها

¹ - خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص ص 48-49.

² - ساجية مخلوف، التنصير في منطقة القبائل أسبابه وعوامله، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، علم النفس الاجتماعي، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2013م-2014م، ص 30.

³ - أحمد عميراي وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844م-1916م، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ص

نشر النصرانية بين دول العالم الثالث عامة والمسلمين خاصة، لإحكام قبضتها على هذه الشعوب والسيطرة عليها.¹

ت- أهداف التبشير والتنصير:

- ❖ نشر البعثات التبشيرية في الطليعة الأولى للثقافة الغربية في إفريقيا.
- ❖ نشر ديانة منافسة للدين الإسلامي.²
- ❖ حماية النصارى من الإسلام وصدّهم دون الدخول فيها.
- ❖ منع الشعوب الغير نصرانية من الدخول في الدين الإسلامي.
- ❖ خراج المسلمين من ديارهم وقطع علاقتهم مع الله.
- ❖ القضاء على وحدة المسلمين.³
- ❖ أهداف التنصير هو تحويل المسلم الذي يوحد الله الى نصراني مشكك بهذه الوحدانية.⁴
- ❖ تقسيم المجتمع إلى قوميات وإحياء الثغرات فيها.
- ❖ نشر الحقد والكراهية بين أفراد المجتمع الواحد.⁵

¹ - ساجية مخلوف، مرجع سابق، ص 31.

² - الهادي الدالي وعمار هلال، دراسة في حركات التبشير والتنصير في منطقة إفريقيا ما وراء الصحراء، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2002م، ص 71.

³ - إبراهيم بن مسعود المالكي، النشاط التنصيري في منطقة الخليج وأهدافه وأبعاده وسبل مقاومته، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية 1429هـ - 2008م، ص ص 27-31.

⁴ - عبد العزيز كحلوت، التنصير والإستعمار في إفريقيا السوداء، ط2، منشورات كلية الدعوة الإسلامية الجماهيرية العظمى، طرابلس، 1992م، ص 20.

⁵ - محمد مرغيث، سياسة التنصير ودورها في المخطط الاستعماري الفرنسي، المجلة التاريخية الجزائرية، ع 04، سبتمبر 2019م، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، ص 127.

ثانيا: التبشير والتنصير في بلاد القبائل:

عمل المستعمر الفرنسي بما فيه من عسكريين ومنصرّين على وضع استراتيجية لتنصير منطقة القبائل والتي مرت بثلاث فترات رئيسية:¹

أ- الفترة الأولى (1858م - 1860م):

كانت بمثابة فترة تمهيدية والتي من خلالها حاول الإستعمار الفرنسي إثبات بؤادر المسيحية للمنطقة، بإعتبار أن المسيحية كانت بها منذ فترات قديمة، وهي السنة التي تم فيها إحتلال المنطقة رسميا بقيادة الجنرال راندون Randon والذي استمر في إحتلاله للمنطقة إلى غاية 1860م.²

ولتغرس جذور المسيحية في المنطقة اعتمدت على الدراسات الإستشراقية التي كتبها العسكريون وغيرهم، كالدراسات التي تحدثت عن تاريخ إفريقيا في العصور القديمة، وزعمت أن فترة العصر الروماني المسيحي فترة إستعمارية، فرض من خلالها العرب الإسلام بالغصب والسيف على البربر وقطعت صلتهم مع الحضارة الغربية المسيحية، وعليه ادعت أن هذه الدراسات هدفها ربط المنطقة البربرية بأصولها الغربية المسيحية، أما غايتها الحقيقية هي تطبيق سياسة فرق تسد، كما سعى هؤلاء إلى تقسيم السكان إلى بربر وعرب وأما البربر تعني السكان القدامى، والتي كانت نتيجة لظهور دراسات إجتماعية، سياسية ودينية هدفها زرع الشقاق بين السكان.³

ومن أهم هذه الدراسات نذكر أبحاث أوجين دوماس، الذي ادعى أن المرأة القبائلية تحمل على وجهها آثار انتمائها للطائفة المسيحية، وكذلك دراسات الأب دوقا الذي اجتهد للبحث عن

¹ - ساجية مخلوف، مرجع سابق، ص 267.

² - مزيان سعيدي، مرجع سابق، ص 206.

³ - خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص ص 135-137.

مخلفات وآثار مسيحية في المنطقة لتساعده على اقناع القبائل بأن ديانتهم الحقيقية هي الديانة المسيحية والعودة إلى أصلهم الحقيقي.¹

ب- الفترة الثانية (1860م - 1867م):

تميزت هذه المرحلة عن المراحل التي سبقتها بأن التبشير فيها أصبح حقيقة ملموسة، وعلى أنها مرحلة عملية لإرسال الأسقف بافي للأب اليسوعي كروزا للمنطقة سنة 1863م.²

تزامنت هذه المرحلة مع ظروف الإحتلال للمنطقة خلال السنوات الممتدة من 1838م - 1864م والتي نتجت عن خمس عشر حملة عسكرية، وأثناء هذه المرحلة والظروف القاسية أظهر رجال الدين عن نواياهم حيث كشفوا تعاونهم مع السلطة العسكرية لإقرار الوضع بالمنطقة تحت اسم سياسة المهادنة لغزوها بالدين المسيحي تحت اسم العمل الخيري، وبعد إلحاح من الأسقف بافي للأب كروزا كمرشد ديني بتاريخ 20 أكتوبر 1863م، وأول عمل قام به تعلم اللهجة القبائلية للاتصال بسكان المنطقة ثم ترجمته للإنجيل إلى القبائلية وتم طبعه عام 1868م تحت عنوان: "كتيب أو دفتر الأناجيل" وراح يزور القرى القبائلية الواحدة تلو الأخرى حوالي 70 قرية، وأخذ يجلب إليهم الملابس والسكر والقهوة ويقدم لهم الإرشادات الدينية.³

أعتبر كروزا أول رجل يقوم بنشاط تنصيري خيري بمنطقة القبائل، حيث أنشأ كنيسة صغيرة بحصن نابليون، درس العربية ويتكلم اللهجة القبائلية بسلاسة، كما فتح مدرسة ضمت حوالي عشرين طفلاً، إضافة إلى أعماله الطيبة التي كانت منتشرة في مختلف القرى ابتداءً من بني بني إلى آث جناد.⁴

¹ - ساجية مخلوف، مرجع سابق، ص 267.

² - سعيدي، النشاط التنصيري...، مرجع سابق، 207.

³ - خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص ص 142-143.

⁴ - خيرة بلعربي، نشاط المبشرين وأهم المناطق التنصيرية في الجزائر خلال الفترة الإستعمارية، مجلة الحقيقة، ع02، 2018م،

قسم التاريخ، جامعة تلمسان، الجزائر، ص 333.

ورغم ما قدمه الأب كروزا من أعمال تبشيرية باءت بالفشل، لعدم تقبل الأهالي لهذا العمل التبشيري ولم يتحصل على أي تنصير لجهوده التي بذلها خلال خمس سنوات.¹

ت- الفترة الثالثة (1867م - 1892م):

وهي المرحلة التي واكبت تعيين الكاردينال لافيغري أسقفا على الجزائر ومندوبا رسوليا للكنيسة الإفريقية، وهي بمثابة أهم مرحلة مرت بها الديانة المسيحية والتبشير المسيحي بالجزائر.²

استغل لافيغري الظروف القاسية التي كان يعيشها الشعب الجزائري نتيجة المجاعة³ سنة 1871م والتي قضت على أكثر من 500 ألف جزائري،⁴ وانتشار الأوبئة، إذ جمع عدد من اليتامى من مراكز خاصة وعمل على تنشئتهم تنشئة نصرانية.⁵

بدأ شارل لافيغري مشروعه التنصيري بمساندة البابوية والجمعيات التي يسمونها الخيرية وكذلك السلطات التي كانت تتغاضى عنه وتحميه وتقدم المساعدات المادية والمعنوية له فقد أنشأ لافيغري مؤسسة القدس أوغسطين لبعث الدين المسيحي ، هدفها نشر النصرانية بين المسلمين والتي لقيت تأييدا من البابا على ذلك.⁶

كما تميز عمله التبشيري بتأسيس جمعية مرسلي إفريقيا التي عرفت باسم الآباء البيض وتفرعت هذه المؤسسة الأم إلى فرقة أخرى وهي الأخوات البيض التي شكلت جيشا من المنصرين التي سماه الدكتور أبو القاسم سعد الله الجيش الأبيض، وهي الأخرى استغلت الظروف القاسية التي كان يعيشها

¹ - سعيدي، النشاط التنصيري ...، مرجع سابق، ص 207.

² - محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830م-1904م، دراسة تاريخية تحليلية، الجزائر، 2009م، ص 37.

³ - عبد القادر بوتشيتشة، لافيغري والتنصير في الجزائر، مجلة الآفاق العلمية، ع2، 2019م، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الجزائر، 2005م، ص 658.

⁴ - عباس فرحات، ليل الإستعمار، دار القصة للنشر، الجزائر، 2005م، ص 62.

⁵ - عبد القادر بوتشيتشة، مرجع سابق، ص 658.

⁶ - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج6، مرجع سابق، ص 121.

الشعب الجزائري جزاء الإحتلال الفرنسي، لتحاول نشر المسيحية باعتبارها مؤسسة خيرية هدفها تخفيف معاناة الشعب.¹

عرف سكان بلاد القبائل اهتماما كبيرا من طرف لافيغري في عهد النظام المدني بالرغم من فشل الأعمال التبشيرية بها، حيث تمكن من التأثير في الأميرال دوجيون لإقناعه بأن أصل القبائل مسيحي، وأن الدم الذي في عروقهم هو نفس دم الفرنسيين لأن أصلهم روماني مسيحي، عرف عمله التبشيري بوضع برنامج يسير عليه المبشرون في عملهم وهو كالآتي:

❖ لا للتنصير الفردي بل العمل على التنصير الجماعي، أي تنصير قرية بأكملها للقضاء على روح التعصب الديني.

❖ أن المسيحي هو انسان آخر في نظر السكان، لذلك طلب لافيغري من المنصرين بأن يتظاهروا بمظهر التدين حتى يكتسبوا الإحترام.

❖ التحلي بالصبر والتسامح وتقبل الشتم والسب.

❖ كسب السكان عن طريق الأعمال الخيرة.

❖ الاندماج وسط الأهالي عن طريق لغتهم، لباسهم وأنماط معيشتهم.

❖ عدم التعرض للدين المسيحي لأنه سبب في نفور السكان وفشل المساعي النصرانية.²

اعتمد في عمله التبشيري على:

- الأعمال الخيرية:

لاحظ أن الأعمال الخيرية من إحسان وعطف تحقق له أهدافه، خاطب الآباء قائلا:

« ساعدوا الفقراء وعالجوا جراحهم وداووا مرضاهم، إنكم بذلك تشرفون عقيدتهم وتخدمون

المسيحية...»، زار مقابر المسلمين وشاركهم جنازات موتاهم، كما أنه لم ينسى الجانب الزراعي،

حيث عمل على تعليم الأطفال واليتامى طرق زراعية حديثة كطرق غرس الأشجار المثمرة في قرية بني منقلا.³

¹ - عبد القادر بوتشيتشة، مرجع سابق، ص 658.

² - خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص ص 156-158.

³ - سعيدي، النشاط التنصيري...، مرجع سابق، ص ص 222-224.

- التطبيب:

استخدم المبشرون التطبيب كوسيلة للتبشير وذلك عن طريق العلاج في المستشفيات حيث يعتبر التطبيب في العمل التبشيري أكثر شمولاً من الوسائل الأخرى، واعتمد في نشاطه على طريقتين:

- الأولى: طريقة غير مباشرة، كإقامة المبشرات لصلواتهن في قاعات المرضى.

- الثانية: طريقة مباشرة وصريحة، وذلك من خلال دعوة المرضى القادرين إلى حضور القداس الذي يقام في كنيسة المشفى صباح كل يوم وترويج الدعاية بينهم، أما بالنسبة للجزائريين الذين يعالجون في ديارهم فإن محاولة تبشيرهم بشكل غير مباشر بتوهم الأهالي أن الإسعاف والعلاج الذي قاموا به لكونهم مسيحيين، وأن ذلك يعود إلى عناية الآلهة بهم وهي التي أقرت عليهم هذه المهمة.¹

- التعليم:

ارتكز نشاط المبشرين عامة في برامجهم التعليمية التنصيرية فئة الأطفال والشباب الذي وصفهم عمار طالبي في نصه: « هم الذين يسهل التطرق إلى قلوبهم والنفوذ إلى عقولهم أما الكبار فإن لهم حصانة أقوى ».²

عاش الطلبة في تلك الفترة ظروفًا قاسية، مما جعلت المبشرون يستغلون هذا الظرف فقاموا بتقديم خدمات تعليمية لهم كإيجاد بيوت لهم والتكفل بمصاريفهم وإعطاءهم منح دراسية كما قامت الجمعيات التنصيرية بتنظيم رحلات للطلبة تحت غطاء المخيمات الصيفية غايتها انتزاع القيم الدينية الإسلامية من الطلبة وإبعادهم عن الشعائر الإسلامية، كما استخدموا دروساً مجانية للتلاميذ مستخرجة من الإنجيل في مادة تاريخ الديانة المسيحية في إفريقيا بالإضافة إلى المطبوعات في الشريعة الدينية جمع فيها نصوص من القرآن الكريم ونصوص من الإنجيل تتناول مواضيع مشتركة بين الديانتين.³

¹ - محمد الطاهر وعلي، مرجع سابق، ص 86-90.

² - ساجية مخلوف، مرجع سابق، ص 28.

³ - جمال حواووسة، مرجع سابق، ص 354.

ثالثا: التبشير والتنصير عند الطوارق:

ظهر عند الطوارق وبالخصوص منطقة تمنراست، رجل دين متميز ذو عقلية عملية، تميز بنشاطه وأعماله في الصحراء باعتباره أكبر مستكشف ديني للصحراء، وأخطر المبشرين على الإطلاق¹ هو شارل دوفوكو.²

استغل دوفوكو هزيمة الطوارق وانفتاح بلدهم أمام الفرنسيين، وكتب إلى المسؤول البابوي العام في الصحراء MGR GUERIH في 24 جوان 1903م، طالبا منه رخصة زيارة بلدان الطوارق وهذا بعدما درس الموضوع وبإيجابيات مع زميله القديم "لابرين" بعدها جاءته الرخصة في 29 أوت للإقامة في المنطقة.³

تحرك بعدها شارل دوفوكو منطلقا برفقة "بول PAUL" والقائد العسكري دينوكس DINOUX وجنود فرنسيين وعند وصولهم للمنطقة استقبلهم شيخ قبيلة الطوارق يدعى موسى آق مستان، حيث وصل إلى تمنراست في شهر أوت 1905م واتخذها مستقر له.⁴

تميزت أعماله في هذه المنطقة بإنشاء دير متعددة للعبادة واستقبال الضيوف وعلاج المرضى، كما أن معرفته اللهجة المحلية ساعدته في التعامل مع السكان ولاسيما شيخهم موسى الذي كان كثير الزيارة على ديفوكو، كما سعى في بادئ الأمر اختراق حياة نساء ورجال الطوارق وبدأ يعلمهم أشياء لا يعلمونها بحكم أنهم يسكنوا في مناطق نائية، فعلمهم الخياطة والنسيج وبناء المنازل والزراعة لكسب ثقتهم وحبهم، ليبدأ مرحلته الرئيسية وهي تنصيرهم، فأول ما قام به في هذه المرحلة

¹ - خيرة بلعربي، مرجع سابق، ص 348.

² - دوفوكو: ولد يوم 15 سبتمبر 1858م، في أحد الأحياء الراقية للعائلات النبيلة بستراسبورغ...، للمزيد ينظر إلى حسين هرموني التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية بداية القرن العشرين، دار الشمسية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، باب الزوار (الجزائر)، 2010م، ص 253.

³ - نفسه، ص 277.

⁴ - عميراي وآخرون، مرجع سابق، ص ص 123-124.

وضع قاموس فرنسي، تماشيقي (طوارقي) ليكون عوناً للمبشرين الأوروبيين في هذه المنطقة، كما قام بجمع أشعار الطوارق ونشرهم وترجمتها إلى اللغة الفرنسية.¹

اعتمد شارل دوفوكو في عمله التبشيري على قاعدة ثانية وهي التنصير من القاعدة إلى القمة، بتجواله قرب المخيمات السكنية محاولاً الدخول في علاقات مع الأطفال فيقدم لهم السكر والحلوى، ورغم كل مجهوداته إلا أنها باءت بالفشل في أول الأمر، وفي سنة 1908م جاءت في باله فكرة ضرورة إنشاء منظمة أو مؤسسة تهتم فعلياً بتطوير الروح التبشيرية في المستعمرات الفرنسية، واستلهمت في باله فكرتين:

- ❖ أنه من المهم الآن القيام بمجهود ضخمة من أجل التنصير الفعلي وعدم ترك الرعايا الفرنسيين جانبا.
- ❖ أنه عليهم بإنشاء جمعية ليست للتوسلات والصلوات فقط، بل إنشاء جمعية هدفها الرئيسي هو الكفار والروح التنصيرية.²

إلا أن رياح ثورة الطوارق التي هبت قضت على محاولة الفرنسيين الأولى للتثبيت في أعالي جبال الهقار سنة 1916م، وبمقتله توقفت طموحات ومشاريع المؤسسة التنصيرية إلى غاية ثلاثينيات القرن الماضي.³

رابعاً: التبشير والتنصير عند بني مزاب:

عرفت مناطق الصحراء انتشاراً واسعاً من طرف المنصرين، وذلك بوسائل مختلفة، ومن بين هذه المناطق الصحراوية منطقة مزاب التي أحاطوا بها من كل جانب،⁴ ورغم ما عرفته فرنسا من تقدم

¹ - عميراوي وآخرون، مرجع سابق، ص 124.

² - الحاج أحمد الحاج إبراهيم، المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن التاسع عشر (مزاب والأهقار نموذجاً)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 02، الجزائر، ص ص 104-105.

³ - نفسه، ص 106.

⁴ - عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب سنتي 1920م-1954م، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير تاريخ معاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007م-2008م، ص ص 141-142.

في الصحراء الجزائرية، إلا أن دخولها لمنطقة مزاب أو الهقار كان مستحيلا على طلائع رواد التنصير، فقد كانت أولى المحاولتين فاشلة والتي عرفت بمقتل المنصريين التي تتنافى مع اعراف وتقاليد سكان المنطقة ولاشتغال هؤلاء كعون لفرنسا عليهم، فمنذ سنة 1853م باعتباره سنة وصول فرنسا لمزاب منذ ذلك التاريخ لم يستطيعوا الدخول إليها إلا بعد إلحاق مزاب عسكريا سنة 1882م ومن ثم بدؤوا نشاطهم بها.¹

أول ما قام به المنصرون بهذه المنطقة هو إنشاء محطة مزاب،² حيث كانت محطة متليلي أول محطة لمؤسسة منصري إفريقيا بالصحراء والتي اعتبرت بمثابة مؤسسة مكلفة بمهمة الصحراء في سنة 1874م من طرف القس "بوليمي" لكنه تم التخلي عنها بعد وقوع المقتلة لآباء المكلفين بالمهمة، في حين أرسل "لافيجيري" إلى هذه المحطة كل من الأب مالفريت (P.Malfreyt)، الأب كرمابون (P.Kermabon)، الأخ أوغسطين (F.Augustin).³

بعدها تطورت محطة مزاب بقيام المنصرون بها بإحياء المناسبات على هذه التقاليد منها طقوس الدفن المقدسة والقربان وقرع الأجراس، كما أقاموا مراسيم دفن أحد رجال الكتيبة التابعين لغرداية في 28 أبريل 1887م على قرع الأجراس رغم معارضة العسكريين، بقي المنصرون في المنزل الذي اكتروه من اليهود إلى أن تحصلوا على قطعة أرض وشرعوا في بناءها سنة 05 يونيو 1888م والذي أصبح في الأخير عاصمة لنيابة الصحراء، حيث حولت محطة المزاب إلى عاصمة للمحافظة الرسولية.⁴

وعند مجيء الأخوات سنة 1891م وضع الآباء نظرهم على قطعة أرض تابعة للعرش لبناء مسكن فيها لهم، إلا أنهم لقوا معارضة كبيرة من طرف الأهالي إلا عند تدخل "سويتز" أصبحت هذه

¹ - إبراهيم الحاج، مرجع سابق، ص 72.

² - ينظر الملحق (02)، ص 91.

³ - إبراهيم الحاج، مرجع سابق، ص 72.

⁴ - نفسه، ص 75.

القطعة ملكية الآباء بعد دفع ثمنها، كما حصلوا على قطعة أرض أخرى في ربوة "تضفت" وعليه بدأ توسعهم في أنحاء غرداية من حصولهم على بساتين وقطع أرضية أخرى.¹

تميز نشاط المنصرين بمزاج بإستمالة الأهالي عن طريق الإحسان إليهم وعلاجهم في المستوصفات أو في منازلهم والحرص على الترحيب بهم وتلبية حاجياتهم، كما فتح مستشفى مدنيا للأخوات سنة 1895م وبعده بثلاث سنوات فتحت مستشفى عسكريا، بالإضافة إلى تشييد مستشفى القديسة "ماري مادلين" سنة 1897م من طرف الحكومة العامة في الجزائر.²

سعى الآباء في الامتزاج مع السكان المحليين بالتجوال في المدينة ومدنها ومعالجتهم ومنحهم لهم الهدايا الرمزية أو الخيرية وذلك بتوزيعها على الصبية في الطريق، كما كانوا يدعون الاهالي لمشاركتهم بعض الحفلات الدينية، وفي نهاية سنة 1902م ازداد نشاط المنصرين داخل المدينة بفتح مستوصف ومدرسة على مشارف المدينة.³

لم يكن دور المؤسسة التبشيرية في مزاج يقتصر على التطبيب فقط، بل كان في الجانب التعليمي أيضا والذي تمثل في فتح مدرسة في 31 جانفي 1884م والتي كانوا يستعملون فيها وسائل لتبليغهم المعارف منها التلقين الأخلاقي بحيث يختار قصص من العهد القديم وتعرض بأسلوب قصصي للأطفال، ويعتبر "مالفريت" أول المدرسين في هذه المدرسة.⁴

كان المنصرون يعملون على استمالة الأطفال وأولياءهم نهاية كل سنة وذلك بتوزيع أغلى الهدايا والجوائز عليهم وأخذ الأطفال في النزعات إلى الواحات وتوزع الغندورات على التلاميذ الذين ارتادوا المدرسة بشكل منتظم خلال الفصل.⁵

¹ - إبراهيم الحاج، مرجع سابق، ص 76.

² - نفسه، ص 78.

³ - نفسه، ص 80.

⁴ - نفسه، ص 81.

⁵ - نفسه، ص 82.

المبحث الخامس: نماذج من البحوث والدراسات الفرنسية حول المناطق البربرية وكثافتها

ساهم العديد من الضباط العسكريين والسياسيين وبعض رجال الدين والكتاب والباحثين بالعديد من الدراسات والتقارير والإقتراحات والتوجهات جعلتها الإدارة الاستعمارية مرجعا لها لإحياء التراث والثقافة البربرية خارج الإطار العربي الإسلامي، من بين الذين اشتهروا بمثل هذه الدراسات والتقارير، نذكر على سبيل المثال:

- رينيه باصيه: الذي تخصص بعد وصوله إلى الجزائر سنة 1880م، في تعليم وتعلم البربرية، الذي اهتم بلهجاتها ودراساتها منذ حوالي التسعينات،¹ مع ابنه وتلاميذه وقدم هو تقريره عن تقدم هذه الدراسات للمؤتمرات العلمية الأوروبية ومنها مؤتمر المستشرقين الذي عقد في هامبورغ سنة 1902م، تضمن تقريره هذا مسحاً كاملاً لما أنجزه من دراسات حول البربرية خلال السنوات (1897م - 1902م) وتقريراً ثانياً قد قدمه إلى نفس المؤتمر المنعقد في كوبنهاغن سنة 1908م، ثم تولى هنري وأندري باسيه المهمة بعده فعمل أحدهما في الرباط في معهد الدراسات البربرية وعمل الآخر في الجزائر.²

ومن الدراسات البربرية المبكرة ما قام به هانوتو الذي اهتم بلهجات زواوة وأصدر بشأنها عدة مؤلفات جاءت نتيجة حكمة للمنطقة ولاعتماده على بحوثه فيها، ومن بين أهم مؤلفاته ما قام به معية زميله لوتورنو بكتاب عنوانه "جرجرة وعاداتها"، كما كانت له مؤلفات أخرى في النحو القبائلي وعن الشعر الشعبي في زواوة، ومن أعماله أيضاً حول البربرية كتابه عن النحو التماشيقي (لهجة الهقار).³

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م-1954م، ...، ج8، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص 31.

² - سعيدي، السياسة الإستعمارية...، مرجع سابق، ص 150.

³ - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، مرجع سابق، ص 32.

وكنموذج آخر عن هذه الدراسات نذكر ما قدمه لوسيان في نشر عدة نصوص بربرية مترجمة إلى الفرنسية وأحيانا إلى العربية، الذي استعان في ذلك بالشيخ محمد السعيد بن زكري أحد علماء زواوة وأحد المدرسين والمفتيين أوائل القرن 20، وبواسطته نشر لوسيان بعض النصوص للشيخين اسماعيل أزيكو ومحمد بن محمد، كما نشر نص كتاب بالبربرية في الفقه بالحروف العربية ألقه الفقهاء السوس بالمغرب وعنوان الكتاب هو "الحوض".¹

¹ - سعيدي، السياسة الإستعمارية...، مرجع سابق، ص 150.

الفصل الثاني: السياسة البربرية الفرنسية في المغرب (1912م – 1930م)

المبحث الأول: الظواهر البربرية

المبحث الثاني: تشجيع اللهجة البربرية ومحاربة اللغة العربية

المبحث الثالث: نفي العلماء ومحاربة الزوايا ودور العلم العربية في المغرب

منذ فرض الحماية الفرنسية على المغرب في 30 مارس 1912م اعتمدت فرنسا سياسة جاءت كتنقيض لبنود هذه الحماية والمتمثلة في السياسة البربرية والتي اعتبرتها فرنسا وسيلة من أجل توطيد وجودها فيه وذلك بتقسيم المجتمع المغربي إلى قسمين: عرب وبربر.

المبحث الأول: الظواهر البربرية

بدأت هذه السياسة فعليا في عهد ليوتي الذي عمل على إخراج الشعب المغربي (البربري) من ديانته والقضاء على الإسلام والعمل على تنصير شعبه، ولإعطاء الطابع الرسمي لها أصدرت سلطات الحماية في عهده مجموعة من الظواهر بداية بـ:

أ- ظهير 11 ديسمبر 1914م:

جاء هذا الظهير بإيعاز من الجنرال ليوتي¹ الذي جاء فيه بضرورة احترام العرف البربري في القبائل لكن فيما يخدم مصالح فرنسا،² رجاء في هذا الظهير تنظيم القبائل البربرية عن طريق قوانينهم وأعرافهم الخاصة وذلك بجعل لهم قانون خاص بهم.³

تم بموجب هذا الظهير وعلى إثره فتحت لمناطق القبائل البربرية محاكم عرفية تفصل في القضايا وفق الأعراف والتقاليد والعادات البربرية في محاولة لإخراجهم من نفاق الشريعة الإسلامية والمحاكم الشرعية الإسلامية، وعليه توهمت السلطات الفرنسية أن أكثرية أهالي هذه المنطقة من البربر.⁴

من خلال إصدار هذا الظهير وعدت فرنسا البرابرة باحترام عوائدهم وأعرافهم وأن مصالحهم تتوافق مع هذا، برهنوا ذلك في القول التالي « يلزمنا أن نحصى العرف البربري ليس من أجل

¹ - ليوتي: ولد في 1854م، عين كمقيم عام في المغرب الأقصى بعد إعلان الحماية عليه في 28 أبريل 1912، واستمر في منصبه إلى غاية 1925م، ينظر: فاتح بوفروك، صدى الظهير البربري 16 ماي 1930 بالمغرب الأقصى على مصر وبعض البلدان العربية من خلال جريدة الفتح، المجلة المغاربية للمخطوطات، ع6، جانفي 2018، قسم التاريخ، جامعة عنابة، ص ص 365-366.

² - أبوبكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930م - 1940م، ج1، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992م، ص 49.

³ - نفسه، ص 38.

⁴ - محمد علي داهش، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ص 26.

تقنيته، فلا حاجة لنا بهذا، ولكن لنحتفظ به، كي لا يضمحل بامتصاص الشرع له إذ لنا مصلحة واضحة في عدم ترك الهوة المتغدرة العبور تحفز بين البرابرة وبيننا في مجال قانون منزل ذلك أن العرف أمام مدونة قانونية، مقضى عليه حتما بالإندثار، وفي المغرب يوجد قانونان مكتوبان: القانون الإسلامي من أصل منزل والقانون الفرنسي، ويلوح لنا أنه من الأفضل أن نرى العرف ينمحي في القانون الفرنسي على أن ينمحي في الشرع»¹.

كانت الغاية من صدور هذا الظهير هو تسجيله باسم جلالة السلطان وعلى وجوده في المغرب بالإضافة إلى قوانين إسلامية مغربية، قوانين بربرية تخالفها، مؤكدين أن البربر اشد تمسكا بها ومحافظين عليها ويطبقونها منذ القدم.²

من دعاة هذه السياسة ريبو إذ يقول « إن ظهير 11 سبتمبر 1914م³ له أهمية عظيمة وهذا الظهير مأخوذ من السلطات نفسه، قد وضع مبدأ عدم إسلام القبائل البربرية، وهذا نجاح عظيم لم يأخذ به أغلب السلاطين السابقين... » وعليه قام السلطان مولاي الحسن اعترافا منه لإخراج البربر من الإسلام والسماح لهم بتطبيق أعرافهم، إلا أنه الحقيقة جاء اعتراف "ريبو" أحد دعاة السياسة البربرية أن "حسن الأول" لم يقبل تطبيق الأعراف السوسة في تيزينيت حتى جمعها ومحصها ووثق أنها لا تحتوي على شيء يناقض مبادئ القرآن، وذلك بعد أن أخضع تلك الأعراف لسلطة القرآن، فهذا إثبات أن ما فعله "مولاي حسن" ليس إخراج البربر عن إسلامهم بل تطبيقا لأعرافهم، لكن فيما يوافق الشرع الإسلامي.⁴

ومع ذلك فإن السلطان مولاي يوسف عارض الظهير ولم يوقع عليه، إلا بعد صعوبات ومعارضات، ومع ذلك من المحتمل أنه لم يدرك كل مغازي هذا الظهير لأنه كان حديث عهد السلطة، وأنه لا يزال على غير معرفة بالعقلية الفرنسية، أما الإقامة العامة فقد أخذت الظهير بكلتا

1- أبو بكر القادري، مصدر سابق، ص 49.

2- محمد المكي الناصري، مصدر سابق، ص 22.

3 - ينظر الملحق (04)، ص 93.

4- محمد المكي الناصري، مصدر سابق، ص ص 27-28.

اليدين، وأخذته في حينها أنه أساسا تبنى عليه صروح السياسة البربرية في المغرب الأقصى، وقاعدة تبنى عليها العلالي والقصور.¹

ب- ظهير 15 يونيو 1922م:

جاء هذا الظهير بإجبار الجنرال ليوتي للسلطان يوسف بن الحسن الأول على إصداره سمح بموجبه تعديل العرف البربري والذي لم يكن يسمح للأجانب بامتلاك الأراضي في القبائل البربرية صدر بتوقيع سلطان المغرب.²

كونت فرنسا جماعات بربرية في كل مناطق القبيلة، وجعلت لها رئيس يكون تابعا لفرنسا استعملت هذه الجماعات كسلاح لهدم الوحدة الوطنية، والتي كان من اختصاصها جمع القضايا،³ كما جعل دعاة السياسة البربرية على إلغاء حق الشفعة الذي يعود إليه "البربري" من أجل استرداد أرضه من الأجنبي، فهم متأكدون أنه سيبقى دائما عددا من أهالي القبيلة يطالبون بهذا الحق الذي ينزع الملكية من هذا الأجنبي، وطالب هؤلاء الدعاة المساندة من الجماعات البربرية من أجل تحقيق مطالبهم، دون احتياج إلى نصوص قانونية جديدة ويكون هذا الإلغاء على لسان الجماعة البربرية التي هي حارسة العرف ويكون ذلك في جلسة علنية يحضرها جماهير البربر، من أجل تقبلهم لإلغاء هذا الحق، وهكذا تحتفظ فرنسا بالأعراف البربرية.⁴

كل هذه الأعمال التي قامت بها فرنسا في المغرب ليس لها أساس تشريعي من السلطة التشريعية في البلاد لأن الظهير الذي دسه ليوتي على السلطات إنما اعتراف بوجود أعراف بربرية ووجود قبائل مشتتة بهذه الأعراف، وقد ظلت هذه الجماعات موجودة حتى سنة 1930م بصفة غير قانونية، وبعد الضغط على السلطان اقتنع السلطان بإدخال مبدأ في مقدمة الظهير البيوعات العقارية في

1- محمد المكي الناصري، مصدر سابق، ص 28.

2- علي داهش، مرجع سابق، ص 28.

3- محمد الناصري، مصدر سابق، ص 38.

4- نفسه، ص ص 40-41.

القبائل البربرية، وذلك بوضع الإقامة العامة نص جديدا يدل على أن نظام قبائل العرف نظام مؤقت لا نهائي.¹

جاء في استهلال نص الظهير " ظهير شريف في جعل ضابط لتفويت العقارات التي يفوتها الأهليون من القبائل ذات العوائد البربرية التي ليس فيها محكمة لإجراء العمل بالشرع المطاع وذلك للأجبيين عن تلك القبائل ... يعلم من كتابنا أسماء الله وأعزه أمره أنه حيث كان تفويت العقارات في القبائل البربرية المرخص فيها بإجراء هذا التفويت قد بوشر فيه حتى اليوم بين الأهليين وبين المشتريين الأجبيين بين القبائل المشار إليها بمقتضى العرف، وكان من المهم للنفع العام المحافظة على تلك العوائد المحلية والتقليدية بتكميلها بضابط التسجيل وذلك الى أن يصدر أمر جديد ".²

بعدها أجبر السلطان الإقامة العامة على إدخال هذا المبدأ في مقدمة الظهير، طالب جلالته مرة أخرى بنص آخر يضاف إلى عنوان الظهير الذي يدل على النظام النهائي الذي طبق في القبائل فأصبح عنوان الظهير " ظهير التنظيم للبيوعات العقارية لمصلحة الملاكين الأجانب في القبائل الغير مزودة بمحاكم تطبيق الشرع الإسلامي "، وهكذا سجل السلطات مبدأ أصالة المحاكم الإسلامية وأثبتت أن تسمية القبائل للعرف البربري هي صفة مؤقتة وأن الاتجاه النهائي لهذا الظهير الذي خلقتة فرنسا هو تجهيز القبائل بمحاكم اسلامية تطبق قوانين الإسلام فيها، وبالتالي أثبت السلطان عدم اعترافه بالسياسة البربرية.³

بعد توقيع هذا الظهير⁴ تم بموجبه إلغاء حق القبائل البربرية في امتلاكهم لأراضيهم ما مكن مستوطنون أجانب وأغلبهم من الفرنسيين السيطرة على بعض الأراضي البربرية.⁵

¹ - محمد المكي الناصري، مصدر سابق، ص ص 41-42.

² - أحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994م، ص 201.

³ - محمد المكي الناصري، مصدر سابق، ص ص 49-50.

⁴ - ينظر الملحق (05)، ص 94.

⁵ - علي داهش، مرجع سابق، ص 28.

ت- ظهير 16 ماي 1930م:

جاء هذا الظهير خاتمة لسياسة كانت تهدف ليس إلى حماية القانون العربي القبائل البربرية فحسب بل وإلى فصلهم عن حضيرة الشرع، وعليه فإن هذه السياسة بدأت باختتام ثم أخذت فجأة صيغة علنية بالظهير الصادر في 16 ماي 1930م.¹

كانت مخططات فرنسا غير واضحة في بداية الأمر حتى جاء ظهير 1930م ليفضح مشروعها والمتمثل في تقسيم المغاربة إلى قسمين بربر وعرب وبالتالي المحاكم التي تكون بالمغرب الأقصى تكون مختلطة، فللعرب محاكم وللبربر أيضا محاكم خاصة بهم، وأما في المخالفات التي يرتكبها البربري فلا يرجع إلى المحاكم المختصة إنما يرجع إلى رؤساء القبائل، الذين يحكمون بالأعراف القديمة التي تختلف من منطقة إلى أخرى، وبالتالي يتم القضاء نهائيا على المحاكم الشرعية، هذا فيما يتعلق العقارات والمنقولات.²

أما فيما يتعلق بها، ففي النزاعات العقارية إذا كان أحد الطرفين خاضعا للمحاكم الفرنسية فإنها ستصبح من اختصاص هذه المحاكم كما تدخل جميع القضايا الجنائية التي تحدث في قبائل البربر تحت محاكم الفرنسية، فإنها ستصبح من اختصاص هذه المحاكم، كما تدخل جميع القضايا الجنائية التي تحدث في قبائل البربر تحت المحاكم الفرنسية ويعم ذلك جميع سكان هذه القبائل، كما ورد تطبيق للعرف البربري في جميع الأحوال الشخصية والموارث وإعطاء نيابة تشريعية عامة للوزير الأكبر، يستطيع معها إصدار الأوامر بجميع ما يتعلق بتنظيم المحاكم العرفية، ويستطيع معها تعيين القبائل التي ستدخل في المستقبل تحت نظام العرف والتي سيطبق عليها هذا النظام.³

¹ - شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، تر: المنجي سليم وآخرون، مراجعة: فريد

السوداني، الدار التونسية، تونس، 1967م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م، ص ص 69-70.

² - أبو بكر القادري، مصدر سابق، ص 48.

³ - محمد المكي الناصري، مصدر سابق، ص 56.

إن هذه السياسة البربرية سوف تشكل منحى خطير في تاريخ المغرب باعتبارها آخر ما اهتدى إليه الفكر الفرنسي للقضاء على مقومات الشعب المغربي وإدماجه في حضيرة العائلة الفرنسية باستخدام سياسة "فَرَّقْ تَسُدْ" لأن وجود العنصر البربري هو آلة مفيدة لموازنة العنصر البربري".¹

إحتوى الظهير البربري على إنشاء المحاكم العرفية للنظر في القضايا المدنية والتجارية والدعوي المختلفة وإرجاع حكم القبائل إلى رؤساء القبائل بالإضافة إلى اختصاص المحاكم الإستئنافية في الأمور الجنائية كما ترجع الدعوي المتعلقة بالعقارات للمحاكم الفرنسية.²

تزامن صدور هذا الظهير مع المقاومة المسلحة والتي كانت المقاومة في المناطق الجبلية (جبال الأطلس) أشدها، حيث قام المغاربة وأغليبتهم من البربر بالدفاع عن مناطقهم ضد الاحتلال وسياسته، فكان صدور هذا الظهير محاولة من فرنسا للخروج من مأوى المقاومة بحل جذري،³ فكان يوم 16 ماي 1930م إصدار الظهير البربري بفصوله الثمانية،⁴ وأذن له بالنشر في 23 ماي 1930م من طرف المقيم العام (لوسيان سان).⁵

المبحث الثاني: تشجيع اللهجة البربرية ومحاربة اللغة العربية

بعد فشل القوة العسكرية الفرنسية في اخضاع القبائل المغربية، استطاع ليوتي وضع دعائم السياسة البربرية في المغرب الأقصى بعدما وضعت أساسياتها في الجزائر مبنية على السياسة الفرنسية القائمة منذ احتلالها للإسلام وذلك بتحويل وتطبيق هذه السياسة اتجاه المغرب باعتبارها أرضا خصبة لتنفيذ هذا المشروع.⁶

¹ - علال الفاسي، مصدر سابق، ص 161.

² - أبو بكر القادري، مصدر سابق، ص 47.

³ - علي داهش، مرجع سابق، ص 28.

⁴ - ينظر الملحق (06)، ص ص 95-97.

⁵ - أبو بكر القادري، مصدر سابق، ص 48.

⁶ - نفسه، ص 49.

ولتزرع هذه السياسة الدينية، اتجه ليوتي نحو السياسة الثقافية التي تهدف إلى إبعاد اللغة العربية باعتبارها لغة الدين الإسلامي.

ركز ليوتي في سياسته الثقافية على مستويين، تعلق الأول بعلاقة اللغة البربرية بالعرف أما الثاني فهي علاقة اللغة العربية بالإسلام، وبموجب ذلك عمل على تجنب تعليم اللغة العربية خاصة وأن هذه اللغة مرتبطة بالقرآن، ومن مصلحة فرنسا أن يتطور البربر خارج إطار الإسلام وبالتالي يجب الاستغناء عن العربية والمرور مباشرة من البربرية إلى الفرنسية.¹

قام ليوتي لتثبيت هذه السياسة بإنشاء مدارس فرنسية بربرية،² وأكثر ما يؤخذ عليه هو استصداره لظهير سبتمبر 1914م ميلادي الذي كان يهدف إلى تقسيم المجتمع المغربي وتحويل البلاد بالتدريج عن الإسلام والعربية واقتطاعها من أمتها العربية الكبرى،³ وعليه بلغ عدد المدارس الفرنسية بعد سنة فقط من إنشائها سنة 1923م ثم زادت إلى 20 مدرسة ضمت 700 تلميذا مستعيدة في ذلك تعليم الدين واللغة البربرية،⁴ هذا ما أكدته ليوتي عندما قال « أنه ليس من مهامها تعليم اللغة العربية للسكان الذين لم يتعلموها لأنها لغة القرآن وهي أحد العوامل المتعلقة بالإسلام، وهدفنا هو تطوير البربر خارج إطار الدين الإسلامي ». ⁵

¹ - محمادي هارتان، السلطة المركزية في المغرب مطلع القرن العشرين بين التفكك وإعادة الإنتاج، دكتوراه في الحقوق، تخصص قانون عام، العلوم السياسية، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 2006، ص ص 274-275.

² - عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص 104.

³ - عبد الحميد زوزو، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، الجزائر، ص 83.

⁴ - محمادي هارتان، مرجع سابق، ص 275.

⁵ - عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص 83.

كان أول عمل ميز مرحلة ليوتي هو إنشاء المدرسة العليا للغة والأدب العربي واللهجات البربرية، والعديد من المراكز أهمها "مركز مكناس"، وقد تولت إدارة ليوتي هذه المدارس الإقامة العامة بيداغوجيا معتمدة على معلمين تم تكوينهم في معهد الدراسات العليا المغربية.¹

كما اعتمد ليوتي في سياسته أيضا التقرب من الزوايا في إطار سياسته من أجل التعرف على المجتمع المغربي حسب القول الذي اشتهر في زمانه « إلى زاوية تنتمي، أقول لك من أنت؟ »،² كما أنه رسم مناهج خاصة بالدين والعرق والجنسية، عملت من خلالها على إنشاء مدارس لأبناء الأعيان وأهل تعليم أغلبية السكان إهمالا كاملا،³ وبناء مدارس أبناء الأعيان فقط لا أبناء الجماهير الشعبية، الذي يسعى إلى تحرير الأفكار من المعتقدات الزائفة في الإسلام وتحرير البؤساء من الإقطاعية المحلية كما يعتقدون أما تعليم البادية، فكان يلحق البربر لغتهم بالحروف اللاتينية مع الفرنسية ومع نبد اللغة العربية.⁴

استطاع ليوتي من خلال سياسته المنتهجة تكوين فئة لصالح الحماية متعاونة سلطات الحماية والعمل على تقسيم فئات المجتمع المغربي لترسيم معالم الحضارة الفرنسية وتثبيت دعائمها، وبذلك تمكن ليوتي من خلال هذه السياسات (التعليمية والدينية) تطبيق سياسة فرنسا في الجزائر للتفريق بين البربر والعرب ومحاربة الاسلام واللغة العربية.

¹ - بوعزة بوضرساية، مرجع سابق، ص ص 302-303.

² - عبد الرحيم الوردغي، فاس في عهد الإستعمار الفرنسي 1912م-1956م، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1992م، ص 46.

³ - جون واتربوري، أمير المؤمنين الملكية والنخبة السياسية المغربية، تر : عبدالغني أبو العزم وآخرون، ط3، مؤسسة الغني، الرباط (المغرب)، 2013م، ص 84.

⁴ - عبد الحميد الوردغي، مرجع سابق، ص 65.

المبحث الثالث: نفي العلماء ومحاربة الزوايا ودور العلم العربية في المغرب

اتسم الموقف الفرنسي من العلماء والزوايا والمدارس العربية بشدته وقساوته، حيث عملت على إغلاق المدارس ومحاربة واضطهاد المعلمين ومنع العلماء والأعضاء من التدريس في المساجد والجوامع.

أ- نفي العلماء:

في بداية يونيو 1930م، خرج المتظاهرين في الشوارع واشتد حماسهم، حيث كانوا يستمعون لخطباء الدين في المساجد الذين شرحوا لهم حالة البلاد ويعرفوهم بها،¹ هذا ما ثار اندهاش السلطات الفرنسية في ردود الفعل التي وقعت داخل المغرب وخارجها ضد ظهير 16 ماي 1930م، فلم يكونوا يتوقعون أن هذا الظهير نتج عنه هذه المقاومة العنيفة، ولذلك اتخذوا أسلوبين في التعامل مع هذه الأحداث، الأول أنهم صاروا يستقبلون بعض المستنكرين للسياسة البربرية ويوهمونهم أن الظهير البربري لا يقصد به تنصير المسلمين أو إبعادهم عن السلطة الشرعية للبلاد، والثاني أنهم كانوا يستدعون آباء الشباب الوطنيين ويخوفونهم من سوء العواقب التي تنتظر أبناءهم إن هم بقوا سائرين في الهيجان الذي أحدثوه.²

ولما وصل المتظاهرون لدار شيخ المدينة عمدت اليهم السلطة الفرنسية فاعتقلت منهم خمسة وعشرين شاباً،³ اكتفوا أولاً بإبعاد عبد اللطيف الصبيحي الذي اعتبروه المحرك الأول لمقاومة الظهير البربري إلى مراكش، وفرضوا عليه الإقامة الجبرية، ثم عمدوا على الزيادة في الشدة فحكموا على بعض المعتقلين بثلاثة أشهر سجناً من بينهم عبد اللطيف الأعتابي والمعطي أباخاي من الرباط والحاج بوبكر المالقي من سلا كما نفوا وسجنوا إلى تازة علال الفاسي ومحمد الوازني وعبد العزيز بن ادريس والهاشمي الفلالي كما نفوا إلى أزيلال ثم تيزينت عبد اللطيف الصبيحي ومحمد اليزيدي إلى قلعة السراغنة وهؤلاء بقوا في منفاهم أكثر من سنتين.⁴

¹ - أبو بكر القادري، مصدر، الفاسي، مصدر سابق، ص 165.

² - نفسه، ص 118.

³ - علال الفاسي، مصدر سابق، ص 165.

⁴ - أبو بكر القادري، مصدر سابق، ص ص 118-119.

ب- موقفهم من التعليم العربي:

- غلق المدارس:

شرعت الإدارة الفرنسية على إغلاق العديد من المدارس وذلك مثل المدرسة الناصرية بفاس والتي أخلتها وصادرت كتبها، ونفت مديرها محمد الغازي سنة 1927م، ومدرسة بركان التي كان يديرها عبد المالك بوتشيش في أكتوبر 1937م، ثم مدرسة الوادغير بالمحمدية وتحويلها الى مدرسة نظامية عمومية، ومدرسة النهضة ومدرسة محمد قسوس والمدرسة الغازية بالرباط، وإلقاء القبض على مديرها أحمد بلافريج، وأحمد الشرقاوي ... إلخ، وعليه أصدرت بتاريخ 14 سبتمبر 1921م ظهيرا لغلق المدارس الحرة أو تحويلها الى مدارس نظامية عمومية تحت تسيير فرنسا.¹

عرف المغرب في فترة الاستعمار نمطين تعليميين، يتمثل النمط الأول في التعليم الذي أنشأته الادارة الفرنسية بهدف استكمال الغزو المادي وتقويته بالغزو المعنوي، أما النمط الثاني فقد تمثل في محاولة المغاربة بإقامة تعليم مغربي من أجل احباط المخططات الفرنسية.²

قسم ليوتي التعليم الإسلامي إلى مدارس أبناء الأعيان ومدارس تخص الحرفيين والحضاريين والإداريين ومدارس تخص القرويين الذين يمتنون مهنة الفلاحة فقط، إلا أن المغاربة اتفقوا على إقامة مدارس تقوم بتعليم القرآن الكريم واللغة العربية والكتابة بها، تعليم مبادئ النحو والفقه الإسلامي تلاوة الكتب الدينية، لكن كل هذا قوبل بالرفض من طرف الإدارة الاستعمارية حيث عملت على سجن كل من يتسبب بهذا أو درس هذه المواد.³

¹ - أحمد بن داود، المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم (1920م - 1954م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران 01، 2016م، ص ص 193-194.

² - محمد القبلي، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، ط1، المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 2001م، ص ص 570-571.

³ - نفسه، ص ص 571-572.

- اضطهاد معلمي المدارس الحرة:

رافقت عملية إغلاق المدارس اضطهاد معلميها والقائمين على تسييرها، ولإفشال وعرقلة نشاطها لجأت إدارة الحماية إلى محاولة إفراغها من مواردها البشرية وذلك باستعمال أسلوب الإغراء والقمع، بالنسبة لأسلوب القمع، عملت على مطاردة مدراء ومعلمي المدارس الحرة بالإعتقال والمحاكمة كما وقع لمدير مدرسة تادلة، الحبيب الناصري الشرقاوي سنة 1952م والذي حكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر، وأحمد بلافريج مدير مدرسة جكسوس بالرباط، وأحمد الشرقاوي مدير المدرسة الغازية بنفس المدينة، توسعت عملة الاعتقالات والمحاكمة لتشمل بعض رموز الحركة الوطنية أمثال أبو بكر والمحاكمة استعملت وسيلة النفي وذلك لمعاقبتهم وإبعادهم عن أوطانهم وعن الأجواء السياسية والثقافية والاجتماعية التي ألفوها وتفاعلوا معها.¹

كما أن الإدارة الفرنسية استعملت أسلوبها الثاني والمتمثل في الإغراء واستدراج معلمي المدارس الحرة، مغرية إياهم بمرتبات مرتفعة في مدارسها أو بوظائف مغرية هذا ما وقع مع أحمد بلقاضي، أحد مؤسسي مدرسة "درب العلو" بسلا سنة 1921م، حيث نصبته كاتباً للمخزن المركزي ومع محمد بليمي الذي اجتذبه بمرتب مغري في أحد مدارسها بالرباط وغيرهم.²

- فرض الرقابة على المدارس الحرة:

عند ازدياد نشاط الحركة الوطنية وظهور أول الأحزاب السياسية مع أواخر الثلاثينيات بدأت المدارس الحرة تتعرض للضغط وأحكام الرقابة الرسمية للمخزن عليها، وذلك بتفعيل دور "مندوبية المعارف الإسلامية" التي تأسست في مطلع العشرينيات، وعلى رأسها وضع محمد الحجوي كمندوب للتعليم، وذلك من خلال زيارته المتتالية للمدارس الحرة وإرشاد الأساتذة حول كيفية تحسين دروسهم، كما أعطت صلاحيات واسعة لقاضي القضاة بالرباط بما ذلك مهمة مراقبة المدارس الحرة،

¹ - أحمد بن داود، مرجع سابق، ص ص 194-195.

² - نفسه، ص ص 196-197.

حيث أن هذا القاضي كان يعرف كل علماء المدينة وبإمكانه إرسال من يفتش دروس أي معلم من معلمي هذه المدارس.¹

عملت مصالح الاستخبارات بمراقبة دروس العلماء والأساتذة وذلك بنقل تفاصيل أو تقارير مفصلة عنها إلى الإقامة العامة، ففي صيف 1935م مثلاً توجه تقرير من المراقب العام المدني بسلا إلى حاكم الناحية حول دروس الشيخ محمد بن العربي العلوي، ومن ضمن ما جاء فيه: « يبدو أن العمل الذي يقوم به محمد بن العربي العلوي ... له بالغ الأثر في الأوساط الوطنية السلاوية، إذ يحضر الدروس التي يلقيها ثلاث مرات في الأسبوع، في المسجد الأعظم طبقة الوطنيين والمتعاطفين ... أن الشيخ يدلي بتلاميذ مستورة في دروس تبدو أهدافها التخريبية كما تبدو معاداتها تمام المعادة للحكومة ... ». ²

نفس المصير واجهته دروس علال الفاسي الحرة بالقرويين، والتي كان لها تأثير كبير على الرأي العام بمدينة فاس، حيث كان يحضرها جمهور كبير من طلبة القرويين، وتلاميذ مدارس الثانوية العربية الفرنسية بالإضافة إلى عامة الناس، حيث أن الإدارة الفرنسية اعتبرتها دروس سياسية توجيهية يومية، وخشيت أن يزيد التفاف الجماهير حولها.³

وبتزايد الدروس الحرة التي كان يقدمها الأساتذة للشباب أمثال علال الفاسي والحسين بوعياذ وغيرهم من القرويين، أصدرت الحماية ظهيرا آخر يمنح صلاحيات الشرطة لمدير هذه المؤسسة يسمح له بمنع الدروس التي يلقيها أساتذة أجنب غير منتمين لهيئة التدريس التابعة للجامعة، كما أن المختار سنوسي هو الآخر لم تسلم دروسه التي كان يلقيها بمسجد الفاسيين بالدار البيضاء وفي مراكش من المراقبة.⁴

¹ - أحمد بن داود، مرجع سابق، ص ص 197-198.

² - نفسه، ص ص 198-199.

³ - أبوبكر القادري، مصدر سابق، ص ص 203-204.

⁴ - أحمد بن داود، مرجع سابق، ص ص 199-200.

كما عملت السلطات الفرنسية على عرقلة نشاط المدارس الحرة بأسلوب مختلف عن ما ذكر سابقا إذ قامت إدارة الحماية بتوظيف الضرائب والجباية لعرقلة هذه المدارس، رغم أنها مدارس أسستها جمعيات خيرية أحيانا وذات أهداف غير ربحية، هذا في حين أن المدارس الأوروبية واليهودية الحرة كانت تحضى بقدر كبير من المساعدات المالية مع إعفائها من مختلف الضرائب والرسوم.¹

لم تقتصر محاولة نظام الحماية في عرقلة مسيرة التعليم العربي الحر على هذه الأساليب فقط، بل تجاوزتها إلى ممارسة الضغط على الآباء الذين يشتغلون في المصالح والقطاعات التابعة لها، وذلك بتهديدهم بالتنقل إلى أماكن نائية بالبادية إذا لم يسحبوا أبناءهم من المدارس الحرة، كما ساومتهم في حصتهم التموينية الشهرية، ففي مذكرة للمراقب المدني تحت رقم 20، الصادرة بتاريخ 29 نوفمبر 1946م، ربط حصول السكان على حصصهم من التموين بإرسال أبنائهم إلى المدارس النظامية التابعة لنظام الحماية، وهذا معناه أن الأسر التي ترسل أبنائها إلى المدارس الحرة ستحرم من حصتها، وحتى الأشخاص الذين كانوا يُكرون عقاراتهم لإيواء المدارس الحرة كانوا يتعرضون للمضايقة من قبل المصالح الإدارية المعنية بتسيير الأملاك والعقارات.²

ت- موقفهم من الزوايا:

المغرب ومنذ القرن السادس عشر، عرف توسع الفكر الصوفي الذي توج بظهور العديد من الزوايا،³ إلى جانب ما كانت تلعبه من أدوار اجتماعية كالتعليم والتطعيم والاستفتاء كانت لها أدوار سياسية وأخرى عسكرية في رفع لواء الجهاد ضد الغزو الفرنسي.

¹ - أحمد بن داود، مرجع سابق، ص 200.

² - نفسه، ص 200.

³ - الزوايا: مؤسسة دينية ثقافية واجتماعية وقضائية وخيرية، يديرها شيخ الطريقة أو من يقوم مقامه من الفروع التابعة له ينظر: عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني (1518م-1830م) تأثيراتها الثقافية والسياسية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015م-2016م، ص 66.

أدت أهمية الزوايا الكبيرة في المغرب إلى اخضاعها ودمجها ضمن سياسة المخزن قصد توظيفها كأدوات لترتيب سيطرته وتبريره، وقد خضعت هذه العملية لزمّن طويل والتي كان هدفها إضعافها بأشكال مختلفة تارة باللين وتارة أخرى بالعنف.¹

كما استعمل المستعمر أسلوب آخر، تمثل في استمالة هذه الزوايا، حينما رأى مدى أهميتها بالمغرب ومدى التحاق الكثير من المغاربة في حواضرها، عملت على استمالتهم لأغراض سياستها في الحرب والسلم، وكمثال على ذلك الطريقة الدرقاوية² التي استميل أحد شقيها والمتمثلة في الزاوية الدرقاوية التابعة لأمجوط، والتي ضمت لفرنسا الاطمئنان في جبال ورغة منذ 1914م.³

شجع ليوتي إسلام الزوايا بكل مظاهره التي تتنافى مع إسلام العالم الذي يتبناه الفقهاء والقضاء خاصة وأنه يعلم مدى الارتباط القوي بينهما وبين مختلف شرائح المجتمع، تمثلت هذه سياسة التشجيع في استراتيجية عامة تضمنت سياسة تدمير ومواجهة الزوايا وسياسة الاسترجاع والتوظيف، وتجسيدها لهذه السياسة عملت القوات الفرنسية والإقامة العامة على تدمير وحرق زاوية بوشتي الخمار وإبعاد الشريف الحجامي إلى ما وراء ورغة.⁴

كما تم تطبيق سياسة التدمير نفسها مع الزاوية الدرقاوية بأزرو، حيث تم إغلاقها بمجرد استيلاء القوات الفرنسية على المنطقة سنة 1916م، ولم يقبل بإعادة فتحها بطلب من أحد الأتباع سنة 1928م، اتجهت هذه السياسة في طريق آخر تمثل في استرجاع وتوظيف الزاوية بعد أن

¹ - قاسم الحادك، الزوايا والطرق الصوفية في المغرب من خدمة المخزن وتكريس شرعيته الى مسألة المستعمر ومهادنته، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، ع1، سبتمبر 2013م، ص 63.

² - الطريقة الدرقاوية: تنسب إلى مؤسسها محمد العربي بن أحمد الدرقاوي الإدريسي، الذي كان مدرسا بمدينة فاس، وأسس الزاوية بنواحي مراكش، وهي من فروع الشاذلية، ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج 4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1998م، ص 112.

³ - حسن الوزاني، مصدر سابق، ص 336-339.

⁴ - محمادي هارتان، مرجع سابق، ص 283.

استعملت القوة ضدها، كما هو حال الزاوية البودشيشية¹ مع بداية القرن العشرين إذا هي نفس السياسة التي استعملتها فرنسا ضد بعض القبائل باستعمال القوة العسكرية بهدف إضعافها وشل الحركة وبالتالي تسهيل عملية الإحتواء.²

عملت السلطات الإستعمارية بزرع تطورات سياسية في حياة زعماء الزوايا وهي تعيينهم قوادا على القبائل أي ربطهم مباشرة بالجهاز السياسي الإداري ووضعهم تحت مراقبة الضباط العسكريين بمناطقهم، كما أضافت من خلال سياستها هذه إلى إضعاف مختلف الزوايا والطرق بتقسيمها أو بضرب مصادرها المادية أو بالتحكم في تعيين زعمائها ثم ربطها مباشرة بالمخزن، مثل ما حدث للزاوية الشرقاوية³ من خلال تقسيمها من طرف السلطان عبد العزيز، التي حاولت التفاوض مع الإقامة العامة بهدف الحفاظ على مختلف الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية، لكن حالة الضعف التي تعاني منها والمصالح الاقتصادية للإقامة والمعمرين بالشاوية عجلت نهايتها اقتصاديا واجتماعيا وروحيا، بالإضافة إلى المراقبة السياسية والتوظيف ونهج سياسة الإضعاف والتحييد عدا عن الإقصاء الممارس من طرف الإقامة العامة، عملت هذه الأخيرة على إعادة الاعتبار وتفعيل دور التحكيم لدى السلطان وكذا دور المراقبة والتحكم.⁴

كما تعرضت الزاوية الكتانية التي قادت المقاومة بفاس أثناء دخول الجيش الفرنسي سنة 1911م، إلى إضعافها وذلك بتقسيمها من طرف الإقامة وبمساعدة المخزن، مع العلم أنها كانت تعرضت للتدمير والإغلاق في جميع المناطق وتم قتل زعيمها محمد عبد الكريم كتاني من طرف

¹ - الزاوية البودشيشية: تنسب إلى الشيخ مولاي عبد القادر بوتشيش الذي ظهر في القرن الخامس هجري، لقب البودشيشية فقد اكتسب بواسطة الشيخ سيدي علي بن محمد لكونه كان يطعم الطعام أيام المجاعة (الدشيشة) ، ويعتبر الشيخ بومدين بن المنور القادري البودشيشي هو مجدد الطريقة البودشيشية في بداية القرن العشرين، ينظر: أحمد الغزالي، مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن القادرية البودشيشية نموذجا، ص 62.

² - هارتان، مرجع سابق، ص 283.

³ - تنسب إلى محمد الشرقي، أسس زاوية بنواحي أزراق، اتخذ زاوية لنشر تعاليم شيخة (لم يتم العثور على اسمه) وهداية الناس إلى الطريق، ينظر: أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، زاوية أبي الجعد اشعاعها الديني والعلمي، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1985، ص ص 69-70.

⁴ - محمادي هارتان، مرجع سابق، ص 283.

السلطان عبد الحفيظ، تمت عملية تقسيمها بعد أن أمر السلطان مولاي يوسف بإعادة فتح الزاوية والسماح لها بالنشاط، وبعد أن تم استقطاب زعيمها الجديد عبد الحي الكتاني الذي تعاون مع الحماية، وفي الوقت الذي عملت فيه الإقامة على دعم ومساندة عبد الحكيم الكتاني، نهجت سياسة الحصار وشل حركة الطرف الثاني المكون من أبناء محمد عبد الكبير الكتاني، محمد الباقر الكتاني ومحمد المهدي بدعوى مساندتهم للمقاومة بالأطلس.¹

هكذا تمثل موقف السلطات الفرنسية من الزوايا في افقائها لأهم ركائزها المادية والمعنوية مع توظيفها المتوالي في عمليات السيطرة والإخضاع وفي المقابل تم سحب كل وظائفها الاجتماعية والدينية والتعليمية والقضائية ... لصالح مؤسسات ومرافق عصرية كالتعليم والصحة، والقواد والأسواق والخيرات ... كما تم تأليب المجتمع ضدها عندما تمت عملية دمجها واستمالتها.

إذا كانت هذه السياسة قد نجحت في تقييد جزء من الطرق والزوايا واستقطبت الجزء الأكبر منها ضمن سياسة التوظيف فإن جسم العلماء بقي مستعصيا في مجمله عن سياسة الإدماج الكلي.

¹ - محمادي هارتان، مرجع سابق، ص 284.

الفصل الثالث: ردود الفعل على السياسة البربرية محليا وإقليميا

المبحث الأول: الردود المحلية

1. الجزائر

2. المغرب الأقصى

المبحث الثاني: رد الفعل العالم الإسلامي

كانت للسياسة البربرية أهمية كبرى في الاستراتيجية الاستعمارية الفرنسية إذا اعتبرتها هي الوسيلة الأنجع لتوطيد دعائم السيطرة الفرنسية في البلاد، إلا أنها لقيت معارضة كبيرة والتي تمثلت على الشكل المحلي والإقليمي.

المبحث الأول: الردود المحلية

1. الجزائر:

- رد فعل العلماء: (جمعية العلماء المسلمين)

شهد نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، صحوة إسلامية حقيقية كان رائدها الأول الشيخ جمال الدين الأفغاني، ومن تلامذته الشيخ محمد عبده من مصر وشكيب أرسلان من لبنان ثم أتى بعدهم علماء حملوا لواء الدعوة الإسلامية وسارعوا في منهج الإصلاح، وكمثال على هذا الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي كان زعيم وباعث النهضة الإسلامية الحديثة في الجزائر والمدافع عن العقيدة ولغة الدين، لم يكن الشيخ ابن باديس لوحده بل كان بمعية البشير الإبراهيمي والعربي التبسي ومبارك الميلي والشيخ الطيب العقبي وغيرهم من رجال الدين.¹

تمثل موقف جمعية العلماء المسلمين جليا وكان ذلك من خلال التعليم، إذ سعت في أن توسع دائرة الأمكنة بإحداث مكاتب حرة للتعليم المكتبي للصغار وينظم دروس في الوعظ والإرشاد الديني في المساجد، إذ لقيت إثر هذا نجاحا عظيما وأثمرت أعمالها إثمارا نافعا،² وتجلّى ذلك في تكوينها أجيال صالحة التي أخرجت من مدارسها والذي هو اليوم قدوة العروبة والإسلام في البلاد.³

¹ - عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، الدار العثمانية، الجزائر، 2013م، ص145.

² - محمد البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، جمعية العلماء المسلمين، دار المعرفة، باب الواد (الجزائر)،

2008م، ص61.

³ - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص167.

تمثلت مساعي الجمعية في أسلوبين، أسلوب التعليم وأسلوب الإصلاح فالأول اعتمدت فيه على التعليم المسجدي والذي تمثل في الوعظ والتذكير بكتاب الله وشرحه بالصحيح من سنة الله، واعتمدت على التعليم المكتبي وذلك في تلقين العربية من خلال تلقين أبسط القواعد ثم تمكينها من نفوسهم بالتمرينات التطبيقية وإصلاح اللهجات التي حرفها العامية عن سبيلها العربي وتقويم اللسان على الحروف وهياكلها ومخارجها والتشجيع على التكلم أمام الناس، أما عن الأسلوب الثاني أسلوب الإصلاح فاقتصر على إصلاح الكتب ومدرستها.

انطلقت الجمعية في أعمالها كمنظمة تعليمية ذات أهداف محددة تمثلت في:

- (1) إحياء الدين الإسلامي وتطهيره من الشوائب.
 - (2) العمل من أجل تطوير الثقافة العربية الإسلامية.
 - (3) توعية الشباب الجزائري بالشخصية الجزائرية وتهيئته للنضال السياسي.
 - (4) نشر تعليم مستوحى من الوحدة العربية والإسلامية.¹
- والهدف الأساسي أنها حاربت العنصرية التي كان الاستعمار يغذيها ويعددها من أمضى أسلحته لقطع أوصال الأمة، فقطعت دابرها، كما أنها أثبتت للجزائر قوميتها العربية.²

كان لجمعية العلماء المسلمين موقفا من التبشير وأولو اهتماما واضحا به بإظهاره للناس خطر هؤلاء المنصرين بكشف أعمالهم التي يقومون بها، وتحلى ذلك بملاحقة عبد الحميد ابن باديس بصحفه ومقالاته تحركات المبشرين، ويفضح أعمالهم الهادمة، موضحا في نفس الوقت رفضه الكامل لأساليب الإستعمار التي كانت تهدف إلى التنصير وفرنسة الشعب الجزائري، كما حذر المصلحون الآباء الذين يؤمنون مراكز التبشير وغيرهم بدعوى المعاملة الحسنة ومجانبة التعليم

¹ - الإبراهيمي، جمعية العلماء المسلمين...، مرجع سابق، ص ص 62-64.

² - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وموقفها من ظهور الحركة البربرية في الجزائر، المجلة التاريخية المغاربية، ع 63-64، جويلية 1991، ص ص 243-244.

وبنو مقالاتهم لفضح هذه السياسة، هكذا قاوم المصلحون الجزائريون سياسة التبشير الفرنسي، لكن رغم كل المحاولات فإن هذه السياسة لم تلق النجاح المطلوب وبالتالي لم تكن مقبولة إلا من طرف الجماعة المثقفة ثقافة فرنسية.¹

كما كان للبشير الابراهيمي ردا على سياسة التفرقة بإحياء اللهجات المحلية والتي اتخذها الاستعمار هدفا، إذ يقول « ما هذه النعمة السمجة التي ارتفعت قبل سنين في راديو الجزائر بإذاعة الأغاني القبائلية، وإذاعة الأخبار باللسان القبائلي ... أكل هذا انصاف للقبائلية وإكرام لأهلها واعتراف بحقها في الحياة، وبأصالتها في الوطن؟ كلا _ إنه تدجيل سياسي على طائفة من هذه الأمة ومكر استعماري بطائفة أخرى، ومفرقة شنيعة بينهما، وسخرية عميقة لها «، وعن سياسة التفرقة أيضا رد الامام عبد الحميد ابن باديس بمقالة شديدة اللهجة تحت عنوان « ما جمعته يد الله لا تفرقه يد شيطان » ، هكذا انتشرت اللغة العربية بسرعة مدهشة وسط البرابرة وما يدل على ذلك ما جاء في تحقيق صدر سنة 1913م أنه منذ 25 سنة أي (1892م - 1914م) أصبحت العربية أكثر انتشارا عند البرابرة وكانت لغة التعامل والعلاقات الاقتصادية والنشاطات الاجتماعية.²

- رد فعل الزوايا والطرق:

كان دور الزوايا التعليمي في المنطقة (القبائل) لا يقتصر على أهل الطرق الصوفية أو على المرابطين فقط بل على بعض الأعيان من الفئات الاجتماعية الأخرى، أنشأت الزوايا أيضا لنشر العلم والمحافظة على الدين والقرآن، كما عرفت منطقة القبائل بنشر الطريقة الرحمانية زواياها وكثر عدد الإخوان التابعين لها والتي أصبحت بمثابة حصن للعلم والجهاد يقوم التعليم في الزوايا على تربية خلقية ومعارف ثقافية أسسها حفظ القرآن وتعلم المعارف المتصلة به.³

¹ - يسلي مقران، مرجع سابق، ص 185-186.

² - نفسه، ص 187.

³ - سعيدي مزيان، مرجع سابق، ص ص 214-215.

استطاعت الزاوية أن تجعل الجزائريين عامة يشككون في كل ما تقدمه المدرسة الفرنسية كما أنها نجحت في إبعاد المواطنين عن إرسال أبنائهم للتعليم في المدارس العربية الفرنسية أو في المدارس المختلطة.¹

من بين الولايات المشبعة دينيا والتي تسعى دائما إلى الحفاظ على الموروث الثقافي نذكر ولاية تيزي وزو وذلك من خلال نشرها للثقافة الإسلامية بين السكان وزرع مبادئ وقيم الدين الإسلامي داخل المجتمع القبائلي حيث تتواجد بها 18 زاوية قرآنية على مستوى الولاية تحمل رسالة تعلم القرآن الكريم وتهذيب النفوس لإخراجها من المعتقدات الخاطئة، كما لعبت دورا هاما في محاربة الثقافة الفرنسية وكانت أيضا بمثابة محاكم المسلمين لحل النزاعات وتسوية الخلافات بينهم بالمصالحة والتسامح، كما أنها تعتبر ملجأ للمجاهدين ومخبا لهم من الإستعمار الفرنسي.²

من أهم الزوايا القائمة في هذه المنطقة:

- زاوية سيدي أويحي:

كانت مهامه تحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الدينية والشريعة والحفاظ على اللغة العربية ومحاربة الجهل والبدع والخرافات كما أنها وقفت بالمرصاد لحركة التبشير في المنطقة وذلك عن طريق التعليم الديني وترسيخ العقيدة الدينية في نفوس المسلمين وتوعيتهم بخطر التبشير والغزو الثقافي الغربي المسيحي.³

إذا تحدثنا عن التنصير في الجزائر فإننا نذكر المقاومة الشعبية ضد هذا الفكر الدخيل عن الأمة الإسلامية الجزائرية، حيث كانت الطرق الصوفية المتواجدة في الجزائر هي التي تقود هاته المقاومات وتعطيها الصبغة الدينية، ومن أهم الطرق الصوفية التي حاربت الحركة التنصيرية هي الطريقة الرحمانية والطريقة القادرية والهبرية وغيرها، فإذا بحثنا في صفحات التاريخ فإننا لا نجد تقريبا ردا

¹ - سعيد مزيان، مرجع سابق، ص 217.

² - كفاح جزار، زوايا ثائرة من اللوحة إلى البندقية، ط1، منشورات الأنيس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص 277.

³ - نفسه، ص 278.

مكتوبا من هذه الفرق بالطريقة التي نجدتها عند الإباضية أو الإصلاحيين ونستثني من ذلك الطرق العلوية التي ظهرت بعد ذلك لاعتمادها على الصحافة.¹

- الزاوية العلوية:

تعتبر أول زاوية أسست بمنطقة القبائل بقرية الجعافرة، تتمثل مهمتها في دعوة الناس إلى التآخي والتحابب، والتضامن وفعل الخير، وتحفيظ القرآن وتعليم الإسلام سيما في المناطق التي ركز عليها المبشرون المسيحيون وأرادوا تمسيحها بشتى الطرق، أسسها أحمد بن مصطفى العلوي المستغامي سنة 1914م، أصدر الشيخ العلوي رحمه الله أول صحيفة "لسان الدين" سنة 1923م بعاصمة الجزائر التي كانت تدافع عن الإسلام ولغته ثم أصدر رحمه الله صحيفة البلاغ الجزائري التي كانت تهدف في الرد على رجال الكنيسة وغيرهم.²

- رد فعل الصحافة:

أدت الصحافة الوطنية الجزائرية نضالا عسيرا في سبيل القضايا القومية وكان ذلك من خلال نشر أفكارهم والدفاع عنهم، فقد أدركوا أن للصحافة مكانة عالية في تطور الأمم، وهذا يظهر جليا من خلال أغلب الصحف الصادرة في هذه الفترة والتي عارضت في مقالاتها السياسية البربرية.

¹ - عبد الرؤوف قرناوب، جهود علماء الجزائر في الرد على التحضير إبان الإحتلال الفرنسي 1830م - 1962م، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، 2014م - 2015م، ص 121.

² - صلاح مؤيد العقي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البرق، بيروت (لبنان)، 2002م، ص ص 265-263.

- المنتقد:

تابعت جريدة المنتقد¹ في صفحتها السياسية البربرية في الجزائر والتي ذكرت في إحدى المقالات التي نشرتها والتي جاءت تحت عنوان "الدين والمجتمع" أنه من الضروري نشر مقالات دينية لأفراد الأمة إرشادات إسلامية لإصلاح ما طرأ على الأمة من ضعف في دينها بسبب ما أبدعه المبدعين، كما اعتقدت أنها من الواجب عليها النصب لمقام الدعوة والإرشاد وإصلاح ما أفسد الناس من الدين والرجوع بهم إلى أصل الشريعة ومحاربة البدع التي أصبحت راسخة في قلوب العامة وحتى الخاصة أيضا، وأن بطول المدة وسكوت العلماء وانتشار دعاة الضلال والمبشرين بمذهب الدجال ظنها السواد الأعظم.²

- الشهاب:

كثفت الشهاب³ في حملتها على تشجيع عملية التعليم ونشرت في كامل أرجاء الوطن، والتي سعت لإقناع الجزائريين على ضرورة الحاق أبنائهم بمعاهد التعليم المختلفة لأن بالتعليم تزكى النفوس وتنور المستوى الذهني، ولأنها ترى أن الجهل ساد المجتمع الجزائري وعليه رأى روادها أن هذا الطموح المتواصل سيبقى محر آمال إذا لم يمهّد بوسائل اجتماعية فعالة وكان أسماها غاية وأعمقها أثرا تأسيس النوادي في كل أرجاء البلاد لأنها ترى أن النوادي هي بمثابة رمز للوحدة الوطنية الاجتماعية، فما من أمة انتشرت فيها النوادي إلا جمعت شملها وأقامت الحجة والبرهان على ديبب اليقظة فيها، وأبدت ما ينم عن روح عالية وفكر راقى.⁴

¹ - جريدة المنتقد: صدرت بعاصمة قسنطينة يوم 02 جويلية 1925م، قام بتحريرها نخبة من شبيبة الجزائر ومدير شؤونها الإدارية

السيد أحمد بوشمال وموجهها عبد الحميد بن باديس، أسبوعية، تصدر يوم الخميس، ينظر: زكرياء مفدي، تاريخ الصحافة

الجزائرية، جم وتح: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003م، ص 86.

² - الطيب العقبي، الدين والاجتماع، ع6، السنة الأولى، تونس، أوت 1925م، ص ص 25-26.

³ - صحيفة الشهاب: ظهرت بعاصمة قسنطينة سنة 1925م، تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية، مدير شؤونها أحمد بوشمال،

تصدر صبيحة الخميس من كل أسبوع، ينظر: مفدي زكرياء، مرجع سابق، ص 88.

⁴ - لجنة التحرير، العلم والمال شرطان أساسيان في الحياة والنوادي مطلع شمسها، الشهاب، ج4، مج5، قسنطينة، ماي

1929م، ص ص 40-44.

لم تقتصر جهود الشهاب على دعوتها للعلم فقط بل تعدتها إلى حاجة التعليم العربي في الجزائر، إذ ترى أن التعليم هو الحجرة الأساس والدعامة الحيوية لهيكل كل أمة وأن نجاح الحركات الإصلاحية والاجتماعية والسياسية مرهون بمدى ثقافة الشعوب ومعارفها.¹

- الشريعة النبوية المحمدية:

أشارت الشريعة² في إحدى مقالاتها تحت عنوان "الدين الإسلامي بين المبشرين والمبتدعين فضح هذه السياسة"، إذ أكدت أن جماعة المبشرين هدفهم الرئيسي إخراج المسلمين عن دينهم وإجبارهم لإعتناق دين غير دينهم.³

- البصائر:

أخذت جمعية البصائر⁴ على عاتقها مسؤولية تثقيف المجتمع الجزائري ونشر التعليم الديني ونشرت مقالاتها وشجعت على التعليم وسعت لإصلاحه لأنه باعتبارها أساس النهضة الإصلاحية. وعليه نشرت البصائر مقالا حول أهمية التعليم في بناء السعادة الانسانية وفي هذا الصدد كتب مبارك المليي وذكر أن جمعية العلماء قد أدركت هذا المغزى فاهتمت بالتعليم وبادرت في فتح المدارس الحرة لتعليم الصبيان، وتلقين القرآن الكريم، والمبادئ الإسلامية واللغة العربية، كل

¹ - أحمد بن أبي زيد الأغواطي، التعليم عندنا وحاجته إلى توحيد النظام، الشهاب، ج1، م13، قسنطينة، 14 مارس، ص 30.

² - جريدة الشريعة: صدر عددها الأول بتاريخ، 17 جويلية 1933م، رئيس تحريرها الأستاذين الطيب العقبي والزهراوي وهي نسخة من جريدة السنة، ينظر: الشريعة، ع1، السنة الأولى، 17 جويلية 1933م، ص 01.

³ - قردة محمد خير، الدين الإسلامي بين المبشرين والمبتدعين، الشريعة، ع6، السنة الأولى، أوت 1933م، ص 05.

⁴ - جريدة البصائر: ظهرت في 27 ديسمبر 1935م، مديرها ورئيس تحريرها الطيب العقبي، يصفها إبراهيمي "أنها أحد الألسنة الأربعة الصامتة لجمعية العلماء المسلمين"، توقفت سنة 1935م، ينظر: صادق بلحاج، الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2011م، ص 85.

هذا جاء من أجل إصلاح الأبناء وتنشئتهم تنشئة صحيحة،¹ فالمدرسة هي للتربية والتعليم وتخريج إطارات الثقافة العربية الإسلامية.²

2. المغرب الأقصى:

- رد فعل العلماء:

من الشخصيات المهمة والبارزة التي تعرضت لخطر الظهير 16 ماي 1930م، نذكر عبد اللطيف صبيحي،³ الذي يعتبر أول من تبنى خطر هذا الظهير وذلك بالإطلاع عليه قبل صدوره في الجريدة الرسمية نظرا لأنه كان موظفا بإدارة الأمور الشريفة بمجرد أن اطلع عليه صار يعلن استنكارا له مع أصدقائه وأتباعه من سلا والرباط، وبعد إصداره في الجريدة الرسمية سار عبد اللطيف يطوف على التجمعات والأندية التي يقوم فيها بشرح الظهير وأضراره ويدعوهم الى مقاومته بكل الوسائل الممكنة.⁴

في 20 جوان 1930م، قامت مظاهرات أولى ضد الظهير البربري بإشراف عبد اللطيف صبيحي، وقرروا أنه لمواجهة سياسية نظام الحماية والدفاع عن الهوية الوطنية يجب استغلال كل البنيات التقليدية وعلى رأسها المسجد،⁵ وعليه طلب عبد اللطيف صبيحي أنه يطلب باسم الله اللطيف أن يرفع عنا البلاء الذي نزل بصدور هذا الظهير.⁶

¹ - مبارك الميللي، "التعليم والتعليم"، البصائر، ع114، السلسلة01، 20 ماي 1933م، ص 02.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830م-1945م)، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م، ص 90.

³ - عبد اللطيف الصبيحي: ولد بسلا، 1897م، درس العربية والقرآن بعدها الفرنسية، التحق بمدرسة اللغات الشرقية بباريس، تحصل على الدبلوم فيه، درس بكلية الحقوق، عزل من وظيفته بسبب مناهضته للظهير البربري، توفي سنة 1965م، ينظر: أبوبكر القادري، مذكراتي، في الحركة الوطنية المغربية من 1930م إلى 1940م، ج1، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992م، ص 50.

⁴ - نفسه، ص 50.

⁵ - أحمد بن داود، مرجع سابق، ص ص 169-170.

⁶ - أبوبكر القادري، مصدر سابق، ص 51.

وقام المصلون يرددون دعاء « يا لطيف ألطف بنا فيما جرت به المقادير ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البربر ».¹

بعد كل هذه الأعمال أصبحت للمقاومة الوطنية وزنا وثقلا في ميدان المعركة وهذا أفقد المستعمر صوابه فاحتل عدة نقط بمدينة فاس كما أرسل عدة وحدات من الجيش الاحتياطي لداخل المساجد لمنع قراءة اللطيف، وعليه وقع الوطنيون في صدام مع المستعمر حيث ألقوا القبض على علال الفاسي في بونيه 1930م هو وجماعة من الوطنيين ورغم كل هذا لم يمنع الشعب المغربي من إكمال مظاهراته حيث أنها ازدادت هذا ما جعل الكومندار "ميلي" رئيس الشؤون الأهلية بناحية فاس أن يذيع منشورا يطمئن فيه الناس على اسلام البربر كما اضطر بإطلاق سراح علال الفاسي وبقية المحبوسين.²

واستمر المحتجون على مطالبهم، فاجتمعوا في المجلس البلدي في فاس، وانتخبوا وفدا من أربعة وعشرين عضوا يمثلون مختلف الأوساط الشعبية، واختار الوفد لجنة لوضع المطالب فيما تخص السياسة البربرية، فاحتوت هذه المطالب على:

- ❖ إلغاء التشريعات المتعلقة بالظهير البربري.
- ❖ توحيد التشريع والإدارة في البلاد.
- ❖ تركيز جميع السلطات في يد السلطان وحكومته.³
- ❖ تكوين قضاء موحد لسائر المغاربة.
- ❖ اللغة العربية وحدها لغة البلاد الرسمية ولذلك يجب أن تكون هي الأساسية في التعليم.
- ❖ ليس في المغرب دين قومي إلا الاسلام واليهودية.
- ❖ منع الهيئات الأجنبية وإدارة المعارف من استعمال وسائل التبشير.⁴

1- شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، 2017م، ص ص 23-24.

2- عبد الحميد المرينسي، الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية الأستاذ علال الفاسي إلى أيام الإستقلال، مطبعة الرسالة، الرباط (المغرب)، 1978م، ص ص 46-46.

3- إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ العالم العربي المعاصر، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000م، ص ص 433-434.

4- علال الفاسي، مصدر سابق، ص 166.

عرفت الحركة الاحتجاجية طريقا آخر تمثل في تأسيس كتلة العمل الوطني التي أطلق عليها اسم "الزاوية" وكان لعلال الفاسي¹ شرف إبداء هذه الرغبة بمساعدة صديقيه أحمد مكوار وحمزة الطاهري والتي تم تأسيسها سنة 1930م، وبعد فترة وجيزة أسست جمعية أخرى سميت "الطائفة" التي كانت تعمل في الظاهر على أنها مستقلة عن الزاوية ولكنها كانت في الواقع جزء منها وسرعان ما حلت محلها وهي التي أخذت اسم "كتلة العمل الوطني" حيث هدفت هذه الكتلة إلى بتتوير الرأي العام في الداخل والخارج من جهة وإعداد الشعب لتحمل أطوار المقاومة من الداخل من جهة أخرى وبذلك أخذت البلاد المغربية تشهد مظاهر وألوان من الاحتجاجات لم تعهدها من قبل كنشر أبحاث قيمة عن البربر وأثرهم في الإسلام وعن الشخصيات الكبرى التي نبغت من بينهم وعن مفاخرهم ومآثرهم.²

كما عمل علال الفاسي ضمن إطار "كتلة العمل الوطني" على تأسيس صحافة تعمل على شرح القضية المغربية والتعريف بها كمجلة المغرب وجريدة عمل الشعب ومجلة السلام وإلى جانب هذه الحملات الصحفية قام علال الفاسي بدروس شعبية تكلف بإلقائها في جامعة القروين، كانت هذه الدروس لا تضم طلبة الجامعة والمدارس الثانوية والنخبة المثقفة فقط بل ضمنت أيضا رجال ونساء من المغاربة يجيدون فيها الأسلوب الجديد الذي يحاول أن يخرج بهم إلى التفكير في حالهم ومصيرهم.³

ومع بداية عام 1934م أصدرت السلطات الفرنسية ظهير مكمل للظهير البربري 08 أفريل 1934م وبه منعت حرية الرأي والتعبير ومنع دخول المجلات العربية إلى المغرب وعطلت الصحف الوطنية ولم تترك المجال أمام الأصوات المعادية للسياسة الإستعمارية ولا سيما من علماء الدين والمثقفين الذين بدؤوا يكشفون نوايا السياسة الفرنسية اتجاه شعب المغرب.⁴

¹ - علال الفاسي: ولد سنة 1910م بفاس، التحق بجامع القروين، واجتاز بامتياز آخر الإمتحانات المؤدية إلى مرتبة عالم، لكنه حرم من ذلك بسبب معارضته للظهير البربري، توفي سنة 1947م، ينظر: جورج سبيلمان، المغرب من الحماية إلى الإستقلال 1912م-1956م، تر: محمد المؤيد، منشورات الأمل، 2014، ص 62.

² - عبد الحميد المرنيسي، مرجع سابق، ص ص 51-52.

³ - نفسه، ص ص 52-53.

⁴ - علي داهش، مرجع سابق، ص ص 30-31.

- رد فعل الزوايا والطرق:

الزوايا مؤسسة دينية وعلمية واجتماعية تبلورت أنشطتها ووظائفها وتجددت داخل الأمة الإسلامية بصفة عامة، وداخل المجتمع المغربي بصفة خاصة، مما جعلها تساهم في مختلف اهتماماته المادية والمعنوية، ومن أهم تلك المهام ما قامت به الزاوية المغربية في تدعيم وترسيخ الثقافة الإسلامية الصحيحة والأصلية ونشرها.

• رد فعل ديني:

كانت للزوايا بصفة عامة دور ديني فعال في تصدي السياسة الفرنسية (البربرية)، تمثل في إتمام نشر الإسلام بين القبائل البربرية، ففي سوس وغرب الأطلس حرص زعماء الزوايا على تطبيق الشرع ودعوة القبائل بإتباع التعاليم الدينية، كما عملوا على تعديل الأحكام العرفية بشكل توافق مع روح الشريعة الإسلامية.¹

• رد فعل تربوي تعليمي:

كان شيوخ الزوايا عندما يكون الوقت وقت استقرار وسلام يوجهون اهتمامهم نحو التكوين العلمي للمريدين من تحفيظ القرآن وتعميق الوعي الديني لمحاربة المذاهب الضالة وتحصين المسلمين من البدع، فقد كانت الدرع الواقية والحصين لهم.²

ومن بين الزوايا التي كان لها بالغ الأثر في محاربة السياسة البربرية نذكر:

• الزاوية البودشيشية:

كما ذكرنا سابقا أن الزاوية البودشيشية تنسب إلى شيخها مولاي عبد القادر الجيلالي الذي ظهر في القرن الخامس الهجري، ومن بين شيوخ هذه الزاوية الشيخ سيدي المختار بن محي الدين والشيخ سيدي أبو مدين بن المنور.

¹ - أحمد الغزالي، مرجع سابق، ص 15.

² - نفسه، ص 22.

من المعلوم أن شيخ الزاوية يسعى دائما إلى الدعوة للإسلام وتربية النفوس وهو ما قدمه شيوخ التصوف عبر القرون، وخصوصا ما قام به شيوخ الطريقة القادرية البودشيشية، إلا أن الظروف التاريخية التي مر بها بعض شيوخها جعلتهم يقومون بأدوار متميزة، مثلما قام به الشيخ سيدي علي بن محمد بودشيش بإطعام الناس أيام المجاعة وخصوصا طعام الدشيشة.¹

وبالنسبة للشيخ سيدي المختار بن محي الدين فقد عاش فترة دخول الإستعمار الفرنسي إلى المغرب، لذلك قاد جيوش مقاومة الاستعمار الفرنسي بالمغرب الشرقي، وشكل خصما عنيدا اعترفت الكتابات الفرنسية بقوته وصلابته وبالحسائر التي كبدها للجيش الفرنسية بقيادة الجنرال ليوتي، وعليه كان رد فرنسا اتجاههم تخريب زاويته وحرقها، ولم يلق ليوتي عليه القبض إلا سنة 1907م وبعد جهد جهيد ومعارك ضارية.²

تعتبر الزاوية القادرية البودشيشية الهيئة الدينية الأكثر حضورا في الساحة قبل ظهور الجماعات الإسلامية الأخرى، فقد كانت كما يقول أحد أفرادها الدرغ الوافي والحصن الحصين للإسلام ضد الأحزاب الإلحاحية، وبفضل شيخها قد أعيد توجيههم نحو الإسلام كما تم تكوين خزانة علمية قيمة فيها تضم آلاف المؤلفات والمصادر التاريخية التي تتحدث عن الدور الريادي الذي لعبته الزوايا والطرق الصوفية في إحياء الوعي الإسلامي والأخلاق الفاضلة، وعليه كان دورها بارزا في تصدي الهجمات الصليبية القدماء والجدد ونعني بهم الاستعمار الإمبريالي.³

كما يرجع الفضل في تلقيح شجرة الطريقة للشيخ سيدي بومدين بن سيدي المنور القادري البودشيشي، وذلك بسعيه إلى شيوخ متعددة المشارب والطرق، فأخذت الطريقة على يده أبعادا معرفية ووجدانية متميزة، عرف بمعاداته للمستعمر وأثرت عنه مواقف متميزة في ذلك أما الشيخ سيدي المختار القادري البودشيشي فقد كان له الفضل في إعطاء الطريقة بعد الإنفتاح على

¹ - ينظر مقال: حسن بن أحمد، الطريقة القادرية البودشيشية، نفحات الطريق (موقع صوفي)، 2016م، تاريخ الولوج 3

أفريل 2021م، الساعة 14:12، على الرابط: nafahat-tarik.com

² - نفسه.

³ - أحمد الغزالي، مرجع سابق، ص ص 24-25.

عصرها، فبعد أن كانت الطريقة تضم علماء تخرجوا من المدارس العلمية التقليدية، أصبحت تعرف دخول مثقفين إليها.¹

- رد فعل الصحافة:

شهدت الحركة الوطنية ابتداء من جويلية 1932م مرحلة مهمة في مسارها النضالي بتأسيس مجلات وصحف قامت على الرد على السياسة البربرية بالمغرب أهمها:

• مجلة المغرب: (1932م - 1934م)

يعتبر السيد روبرجان لونكي هو المسؤول عنها رسميا والمشرف عليها عمليا الأستاذ أحمد بلافريج، كانت تضم عدد من المحررين من نخبة الشباب الوطنيين الأحرار أمثال محمد بن حسن الوزاني، الحاج عمر بن عبد الجليل، محمد اليزيدي، محمد الفاسي وعبد اللطيف الصبايحي.²

تمثل رد هذه المجلة على الظهير البربري في كتابتها في الموضوع بمناسبة الاحتجاجات ضد الظهير البربري، فكتب أحمد بلافريج في أكتوبر 1932م منددا بحرمان الأهالي في البوادي المغربية من التعليم ودعم سلطات الحماية للكاتوليكية في مدارسها، كما لجأ محمد بن حسن الوزاني في جريدة ارادة الشعب الى تقديم الأدلة على سعي المنصرين لتنصير البربر والمغاربة ككل، كما لجأ إلى فضح ادعاءاتهم بأن وجودهم في المغرب هو لمساعدة المسيحيين على إقامة شعائهم الدينية.³

قامت هذه المجلة بنشر مقالاتها لكشف السياسة الاستعمارية بالمغرب، صدرت المجلة باللغة الفرنسية ويعود سبب إصدارها باللغة الفرنسية إلى الأشخاص الذين كانوا حريصين أن يكون للحركة الوطنية صوت بالخارج وبفرنسا بالذات لفضح السياسة الفرنسية الاستعمارية بالمغرب

¹ - بن أحمد، الطريقة البودشيشية...، مرجع سابق، على الرابط: (nafahat-tarik.com)

² - أبو بكر القادري، مصدر سابق، ص 132.

³ - عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقة الحماية الفرنسية بالمغرب الأقصى بين سنتي 1912م و1956م، رسالة

مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02،

2013م-2014م، ص 164-165.

ولتنبيه أخطار السياسة البربرية، وتعود أسباب فكرة صدور هذه المجلة إلى نجاح الدعاية ضد السياسة البربرية وخوف الإدارة الفرنسية من الدعاية ضدهم.¹

عملت المجلة على فضح السياسة الفرنسية في المغرب الأقصى والدفاع عن حقوق المغاربة وذلك من خلال فسخ مجال للأقلام التونسية والفرنسية والسورية لعرض القضايا، ونتيجة لظروف إقرار الظهير البربري أضحت المجلة من أهم أدبيات الحركة الوطنية وكانت بمثابة الدعامات الأساسية للحركة الوطنية المغربية حيث ساهمت في نشر وصياغة مطالبها واهتمت بالمقاومة الثقافية بالدرجة الأولى توقفت سنة 1934م.²

قررت كتلة العمل الوطني بعد ذلك أن تصدر جريدة عمل الشعب باللغة الفرنسية أيضا لأن الصحافة العربية لم تأذن بإصدارها في تلك الفترة.

• جريدة عمل الشعب:

أصدرها الوزاني في فاس يوم 04 أوت 1933م، جريدة أسبوعية تدافع عن المصالح المغربية، عهد بإدارتها إلى محمد بن الحسن الوزاني وتولى تحريرها مع عمر بن عبد الجليل، ساهمت هذه الجريدة بحكم لغتها إيصال الصوت المغربي للعديد من الأجانب المقيمين في المغرب وخارجه، كما ردت على زيف وافتراءات الصحافة الاستعمارية، على الرغم من ما أثارته من بروز الصراع الذي كانت تنطوي عليه كتلة العمل الوطني، المتمثل في وجود قطبين تقليدي يرفض التعاطي مع الحضارة الغربية ويهاجم لغتها، وتيار عصري لا يرى غضاظة من توظيف اللغة في العلم والتعلم والرد على زيف المستعمر، لقد كانت عمل الشعب صوتا للوطنيين ولم تترك موضوعا إلا وكتبت

¹ - خديجة خذير وشهزاد حمدي، الظهير البربري وانعكاساته على النضال السياسي، مذكرة مكملية لنيل شهادة الماستر في تاريخ في تاريخ المغرب العربي المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2019م-2020م، ص ص 46-47.

² - حورية بابا، المسألة الثقافية لدى الحركة الوطنية المغربية بالمنطقة السلطانية 1930م-1956م، مجلة الإحياء، مج20، ع26، سبتمبر 2020م، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حمه لخضر، الوادي، ص 1038-1039م.

عنه مقالات تنددية ففي عددها الصادر 20 أوت 1933م كتب مديرها محمد بن الحسن الوزاني « إن الإسلام يعطينا قوة لمواجهة تحديات الاستعمار وهو أملنا الوحيد للحفاظ على شخصيتنا».¹ عمل الأستاذ علال الفاسي ضمن إطار كتلة العمل الوطني على تأسيس صحيفة أخرى كمجلة السلام تحت إشراف الأستاذ داوود بتطوان والمنطقة الشمالية بإتفاق بين الوطنيين في الشمال والجنوب، وكذلك صدرت جريدة الحياة باللغة العربية والتي ترأسها الأستاذ عبد الخالق الطريس.²

المبحث الثاني: رد فعل العالم الإسلامي

- نماذج من مواقف العلماء (شكيب أرسلان):

لم يقتصر صدی الظهير البربري على المغرب الأقصى لوحده بل شمل العالم الإسلامي ككل ومن بين العلماء الذين كان له دور كبير في خدمة المغرب نذكر الأمير شكيب أرسلان.³

كان هم شكيب أرسلان في هذه الفترة خدمة المغرب، وكان يسعى على استنكار ما قامت به السلطات الفرنسية بإصدارها للظهير البربري، فتح صفحات من مجلة "الأمة العربية" والتي كان يصدرها بسويسرا باللغة الفرنسية، كانت غاية هذه المجلة التعريف بالقضية المغربية من خلال ما كتبه الأمير شكيب أرسلان من مقالات تلو مقالات في الصحف العربية السيارة في مصر وغيرها، كما اتصل بالشخصيات العربية والأجنبية موضحا الأخطار التي يتعرض لها المغرب إذ ما طبقت السياسة البربرية، ومطالبها بتأسيسها ومناصرتها.⁴

¹ - أحمد بونعامة، دور الصحافة المغاربية في مقاومة الإستعمار (المغرب الأقصى نموذجا)، مجلة البحوث التاريخية، مج4، ع2، سبتمبر 2020م، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية (موريتانيا)، ص ص 174-175.

² - عبد الحميد المرينسي، مرجع سابق، ص 52.

³ - شكيب أرسلان: هو شكيب بن حمود بن حسن، ولد سنة 1869م، تعلم في مسقط رأسه القراءة والكتابة والقرآن، عرف بدفاعه عن القضايا التحررية العربية، كما عرف عنه بتعرية الصورة الحقيقية للإستعمار، توفي سنة 1946م، ينظر: الطيب لباز، الزيارة التاريخية للأمير شكيب أرسلان إلى شمال المغرب، أوت 1930م، الحدث .. ونتائجه، مجلة أنسنه للبحوث والدراسات، ع8، ديسمبر 2013م، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ص 08.

⁴ - أبو بكر القادري، مصدر سابق، ص 93.

كانت سياسة الشكيب أرسلان تتمثل في التشهير بسياسة الظهير البربري وتمثل ذلك في كتابة رسالة إلى المسيو رينوديل أحد أعضاء الحزب الاشتراكي الفرنسي، شرح له خطورة سياسة الظهير البربري، كان هدف شكيب أرسلان من هذه الرسالة التشهير بالفضيحة الفرنسية امام الرأي العام الفرنسي، اذ طلب شكيب منه إثارة هذه المسألة في البرلمان الفرنسي، كما أرسل رسالتين الأولى إلى محي الدين الخطيب صاحب جريدة الفتح والثانية إلى رشيد رضا صاحب مجلة المنار، بين فيهما مخاطر الظهير البربري على الإسلام، وحثهما على نشر المقالات لتحريض المسلمين على هذه السياسة وإطلاعهم على حقائقها ومخاطرها، كما طلب من الشعوب العربية في مصر والعراق وسوريا والمسلمين في إندونيسيا الاحتجاج على سياسة الظهير البربري في الصحف العربية ورفع العرائض إلى السفراء وقناصل فرنسا في هذه الدول احتجاجا على هذه السياسة.¹

كما وجه شكيب إلى جانب ذلك خطابا شديدا للهِجَة للمسلمين الذي جاء فيه أنهم يريدون أن يستقلوا وأن يرفعوا كل اعتداء على دينهم، لكن بدون بذل شيء بل بالاتكال على الله وزعمهم أن الأمة المتقدمة تفرض الحرية والعدالة، إلا أن هذا غير صحيح فالله قد وعد المسلمين لكن بشروط معلومة وهذه الدول تفرض العدالة فيما بينها فقط، فعلى المسلمين أن ينهضوا ويقوموا بتشكيل جمعيات ولجان ... إلخ، وأن يتحدوا فيما بينهم، وأن يكونوا علاقات مع بقية الدول الأخرى وأن يتصلوا بالأمم المغلوبة.²

في 14 أكتوبر 1930م بعث شكيب رسالة أخرى من لوزان الى عبد السلام بنونة يقول فيها: « أرسلت إلى مصر أطلب من إخواننا ترجمة ذلك النداء الذي أرسلته لكم النسخ منه في أوروبا والعالم كله ... » وطلب من بنونة التالي: « وأنتم اكتبوا إلى أولادنا السيد العربي والسيد الطريس في مصر لأجل السعي بمثل ذلك، وأنا أرى أنه صار يجب تأليف وتوزيع كتاب خاص

1- محمد سالم أحمد عمارة، شكيب أرسلان 1869م - 1946م دراسة في فكره السياسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في

التاريخ، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، 2000م، ص ص 133-134.

2- أبو بكر القادري، مصدر سابق، ص 95.

هذه المسألة تحت عنوان: "الحادث الأكبر، في محاولة الفرنسيين تظهير البربر" وذلك بجمع أدلة على ذلك لفضح فرنسا وترجمة هذا الكتاب إلى اللغات الأوروبية والشرقية¹.

كما طلب شكيب أرسلان من رواد الحركة الوطنية المغربية أنه يستحيل عليهم أن يقاوموا هذه السياسة بالسلاح، بل أن المحاربة تكون بالقلم أيضا، وذلك بتشجيعهم على نشر المقالات في الصحف العربية والأجنبية من أجل فضح السياسة الاستعمارية²، وفي نفس الوقت طلب الأمير من الموظفين المغاربة بإرسال الأمر إلى جمعية الطلبة المغاربة بباريس لدعم الحملة الاعلامية ضد السياسة الاستعمارية في المغرب الأقصى وعدم التساهل بالمسألة لأنها متعلقة بالدين³.

وقد دعى شكيب أرسلان إلى مقاطعة الفرنسيين اقتصاديا، وهذا ما جاء في رسالته الى الحاج عبد السلام بنونة بتاريخ 23 مارس 1931م يقول فيه: « مسألة الاعتداء الفظيع على البربر مهما كان من ضجيج وكلام ففائدته يسيرة وليس عند المشرقين ما ينتفضون به غير مقاطعة بضائع المعتدين، فإذا قامت لجنة وطافت الأقطار فلن يتخلف شرقي عن الارتباط، وسيتم المقصود إن شاء الله⁴ » وعليه أكد شكيب أرسلان على ضرورة مقاطعة البضائع الفرنسية في البلاد العربية والإسلامية وأنه يجب الدعاية له في كامل هذه الأقطار وذكر أن حرب اليوم هي المال، فهو وسيلة ضغط لإجبار الفرنسيين للكف عن سياسة الظهير البربري الرامي إلى تنصير البربر⁵.

حول هذا قامت فرنسا بحملة شرسة ضد الأمير شكيب أرسلان تتهمه أنه هو الذي أقام الدنيا عليهم، وأن حركة مقاومة السياسة البربرية كانت من صنع يده لما زار المغرب فكتبت جريدة " الطان " الباريسية 1930م تتهم فيه الأمير بأنه هو الذي ترك المغرب والعالم الإسلامي ضد المسألة البربرية وأن الفرنسيين عاتبوا الإسبانين على السماح له بزيادة بتطوان فرد شكيب أرسلان على اتهامات

¹ - أبو بكر القادري، مصدر سابق، ص 95.

² - شكيب أرسلان، عروة الإتحاد بين أهل الجهاد، ط1، الدار التقدمية، لبنان، 2009م، ص 161.

³ - أبو بكر القادري، مصدر سابق، ص 97.

⁴ - نفسه، ص 97.

⁵ - أحمد عميرة، مرجع سابق، ص 142.

فرنسا فقال: « ولتعلم فرنسا أن العالم الإسلامي كله لن يسكت عنها إلا بإلغاء الظهير المشؤوم الذي لا جدال في أن مرامه ديني صرف بالرغم من كل تمويهات الفرنسيين».¹

- موقف الصحافة (جريدة المنار القاهرية لمحمد رشيد رضا):

لم يقتصر صدی الظهير البربري على المغرب وحده بل عم العالم الإسلامي كله، وقد توالى الصحف العربية والإسلامية ولاسيما المصرية حملة واسعة وشديدة على السياسة الفرنسية وعلى رأسها جريدة المنار المصرية.

كانت مجلة المنار في عصرها أكبر مجلة إسلامية في العالم الإسلامي، فقد تفردت من بين كل المجلات التي عاصرتها عندما أصبحت مدرسة جامعة لتيار الاحياء والتجديد والقيادة لإقامة مؤسسات الإصلاح والمقاومة والنهوض، وكان وراء إصدارها إمام وفقهه، إنه الشيخ محمد رضا.²

في مجلدها الحادي والثلاثين والذي تزامن مع صدور فرنسا لظهير 16 ماي 1930م ردت المنار على ادعاءات فرنسا الزائفة التي كانت تهدف إلى تمويه الشعوب العربية الإسلامية حيث بينت رد فعلها على بيان مفوضية فرنسا بمصر حول الظهير، وأعقبت عما ورد فيه ورأت أنه مبهما ويوهم المعهودين في البلاغات السياسية، وأثبتت صحة الأنباء التي جاءت في عدة مدن من المغرب الأقصى في مسألة البربر فكانت سبب في إصدار البيان العام المتقدم، ورفضت اختفاء الشرعية عليه، لأنها ترى أن صدور الظهير الأول لا يمكن اعتباره حجة على صحة الظهير الثاني، فضلا عن كون السلطان كان مكرها على ذلك.³

1- أبو بكر القادري، مصدر سابق، ص ص 97-98.

2- محمد رضا: من مواليد 23 سبتمبر 1865م، يعود نسبه إلى آل الحسين بن علي (رضي الله عنهما)، كان رشيد رضا أكبر تلامذة الأستاذ الإمام محمد عبده وخليفته من بعده، حمل راية الإصلاح والتجديد، مفكرا إسلاميا وصحفيا، ينظر: منوبة برهاني، الفكر المقاصدي عند محمد رشيد رضا، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص فقه الأصول، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم الشريعة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006م-2007م، ص ص 05-07.

3- محمد رشيد رضا، لا عذر لسلطان المغرب في إكراه فرنسا له على نقض حكم الله، مجلة المنار، مج31، ج3، 26 ماي 1930م، ص 213.

اعتبرت المنار أن هذا الظهير قد مس عقيدة البربر الدينية مواجهها بذلك رد قول الوزير وأن الأحكام القضائية لا تدخل في قسم العقائد وأن من أصول هذه العقائد العمل على ما جاء به القرآن الكريم وأجمع عليه المسلمون، ذاكرا أن من استحلت ترك العمل من النصوص القطعية يعد مرتدا، كما ذكرت أيضا أن من واجب السلطان اتجاه البربر إرجاعهم عن تلك التقاليد بالتعليم والاقتناع أو بالقوة.¹

بالإضافة على ذلك، لم تنسى المنار أن تذكر العلماء الذين وافقوا السلطان لكونه مكرها على ذلك مستشهدة بقوله تعالى : « ... مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيْمَانِ ... » (النحل، الآية 106)، وأن فرنسا قادرة على إخراجه من السلطنة كما أخرجت عبد الحفيظ وهذه شبهة ولكنها باطلة، لا قبول السلطنة في هذه الحالة لا يمكن اعتباره عذرا في مستوى من هدد بالقتل، وعليه أكد أن أشد العلماء تدينا، لم يجادلوه في أمر الظهير لا يمكن التسليم به، لأنه لا ثقة في مسلم بمن تعدله فرنسا في إسلامه.²

اتهمت المنار في الأمور الثلاثة التي اشتمل عليها الظهير وطالبت الدولة الفرنسية بنشر نص الظهير بين الأول والثاني وإطلاع الرأي العام الإسلامي عليها وعلى القانون الذي بني عليهما، أما ما جاء من شكر بعض البربر للسلطان على عمله فإنها لا تنقص من التهمة شيئا لاحتمال أن يكون هؤلاء الشاكرون من الجهال، أو كانوا مجبرين على الشكر بالإكراه والقهر، مفندا مزاعم المفوضية الفرنسية بشأن اسهام السلطات الفرنسية، من خلال تنظيم المالية المغربية، ومساهمتها في ترميم المساجد بل أن فرنسا سيطرت على الأوقاف الإسلامية هناك، واستولت على أموالها وضيققت على التعليم الديني، وشددت من مراقبتها للعلماء مرجحة أن ترميم المساجد يعود إلى دوافع أخرى تخدم رغبة علماء الآثار الفرنسيين.³

ولفصح حقيقة السياسة البربرية الفرنسية والظهير البربري تحديدا واصلت المنار في إزالة القناع، تجلى ذلك في ردها على سياسة الفرنسيين وادعاءاتهم بخصوص مضمون الظهير البربري،

1 - محمد رشيد رضا، مج31، ج3، مصدر سابق، ص 213.

2 - نفسه، ص 213.

3 - نفسه، ص ص 214-215.

وفي تفسير كتاب الوزير الفرنسي المقيم بالمغرب الذي جاء في مقال لمحمد رشيد رضا في المجلد الحادي والثلاثين في الجزء الرابع منه، والذي جاء في نقاط أوضحتها المنار التي وجبت الإشارة إليها:

❖ إقرار السلطان بإعطاء تنظيم البربر بصيغة قانونية لتصبح أحكامها صالحة لأن تنفذ على البربر وغيرهم دليل واضح على ما يقومون به من خلال هذا الظهير، يراد جعله أساسا لأجل تنفيذه في العرب وهو ما يبين نوايا فرنسا في إلغاء الشريعة الإسلامية، مع تنفيذ هذه الخطوات بالرفق لتجنب ثورة الشعب المغربي.¹

❖ عدم إجبار السكان الذين كانت لهم الحرية من قديم في رفع دعاويهم لدى الشرع وإن كانوا قاطنين في بلاد البربر على دفع دعاويهم إلى الشرع، وأن العرب لا يجبرون على ذلك خوفا من الحوادث.

❖ ذكر رضا في قوله بأن للقبائل الحرية إذا اتفقوا على نهج الشرع الإسلامي، واستعداد السلطان لتعيين قاض لهم، ويقول أن هذا هو القيد الذي قيد به الوزير قول السلطان في المسألة السادسة من تعليقنا على كتاب جلالته، وهو أن لا يقبل طلب أحد من البربر، أو القبائل المستعربة بأن يسلكوا منهج الشريعة الإسلامية إلا إذا أجمعوا على ذلك، وهذا لكونهم يعلمون أن هذا الشرط لا يمكن تحقيقه كون أن أكثر هذه القبائل أميين وهو رغبتهم وكل هذا دليل على أن فرنسا ستمنع حدوث ذلك.²

¹ - محمد رشيد رضا، كتاب الوزير في إرادة إزالة الإسلام من المغرب، المنار، مج 31، ج 4، 26 ماي 1930، ص 314.

² - نفسه، ص 314.

❖ إن سماح فرنسا للطلبة والفقهاء ومشايخ الطرق الصوفية العاملين في القبائل البربرية بالدخول والتجول هناك دليل على صحة ما يشتكون منه هؤلاء العلماء من مضايقات، ومنع الدخول إلى هذه المناطق، كما أن حبسها دائما هذا لن يحدث، بما أن السلطات الفرنسية تعمل على إخراج البربر من دائرة الاسلام والعروبة، فكيف لها بأن تسمح بدخول معلمي الاسلام واللغة العربية وتعليمها للبربر وهذا الأمر مجرد تسكين للخواطر والاضطرابات والاحتجاجات المصاحبة لإصدارها للظهير البربري، وما يدل على ذلك كلمات الرفق واللين التي كانت مرفوعة بكتاب كل من السلطان المغربي والوزير الفرنسي، وكلا الكتابين هما حجة على مصدريهما، وناقضان للادعاءات المفوضية الفرنسية بشأن بقاء البربر مسلمين حاليا ومستقبلا.¹

¹ - محمد رشيد رضا، مج31، ج4، مصدر سابق، ص314.

خاتمة

خاتمة:

نأمل من خلال هذا العمل المتواضع أن نكون غطينا جانبا من السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر والمغرب الأقصى التي تمثلت في السياسة البربرية الفرنسية، ونأمل أن نكون كذلك أجبنا على التساؤلات التي تم طرحها في الإشكالية وعليه وجدنا أنفسنا أمام مجموعة من النتائج والاستنتاجات تمثلت في:

- ❖ أن السلطات الفرنسية عمدت منذ احتلالها للمغرب والجزائر إلى وضع سياسة تفكيكية لهما، حتى تضمن بقائها في المنطقة والتي تمثلت في تفعيل سياسة تفرقة بين العناصر المشكلة لمجتمعات الجزائر والمغرب الأقصى وتمثلت هذه السياسة في البربرية والتي سعت من خلالها القضاء على مقومات المغرب العربي وإدماجه في حضيرة فرنسا.
- ❖ كانت الجزائر أول بلد استهدفته فرنسا لتجسيد هذه السياسة الهدامة لمقومات الشعب الجزائري، وإبعاده عن ديانتها الإسلامية، فنجدها أنها اهتمت بالبربر والبحث عن أصولهم وانتمائهم العرقي ولهجاتهم والتي كانت غايتها هو خلق فئة موالية تابعة لها، وكذلك خلق التفرقة بينهم وبين العرب.
- ❖ ولتجسيد هذه السياسة بالجزائر عملت فرنسا على محاربة اللغة العربية التي اعتبرتها لغة أجنبية في الجزائر، كان ذلك من خلال فرنسة شعوب منطقة القبائل وإنشاء المدارس القبائلية لتشجيعهم على اللهجات الدارجة البربرية، كما عملت على محاربة الدين الإسلامي بشتى الطرق والمتمثلة في تنصير المناطق البربرية.
- ❖ بعدما اعتقدت فرنسا أنها نجحت في فرض سياستها البربرية في الجزائر، وجهت أنصارها إلى المغرب الأقصى لتقسيمه هو الآخر لعرب وبربر ولتنفيذ هذه السياسة أصدرت مجموعة من القوانين التي نصت على استخدام اللغة الفرنسية كلغة رسمية أولى في تحرير السندات والمعاملات وفي القضاء تم إلغاء المحاكم الإسلامية واستبدالها بالمحاكم العرفية وتعويض الأحكام الإسلامية بالأعراف والعادات والتقاليد البربرية وجاء هذا باستصدار مجموعة من الظهائر أهمها ظهور 1914م و1922م، وظهير 1930م وهو أخطرهم والذي من خلاله تم اعتراف السلطان بوجود قبائل بربرية خارجة عن الدين الإسلامي.

- ❖ ولتحطم مقومات الشعب المغربي عملت على زرع السياسة الثقافية والتي تمثلت في إبعاد اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ولغة الدين الإسلامي مشجعة في ذلك اللهجة البربرية.
- ❖ لم تقتصر سياسة فرنسا في المغرب الأقصى على محاربة المقومات فقط بل اتسمت كذلك بمحاربة الزوايا ونفي العلماء التي كان لهم أثر في الرد على هذه السياسة.
- ❖ أما ردود الأفعال لهذه السياسة فكانت في الجزائر ردود أفعال إصلاحية تمثلت في ردود فعل العلماء من طرف جمعية العلماء المسلمين التي عملت على إحياء الدين الإسلامي وتطوير الثقافة العربية الإسلامية بالإضافة إلى محاربة العنصرية وكما كانت للزوايا رد على هذه السياسة.
- ❖ أدت الصحافة الجزائرية نضالا في سبيل القومية من خلال نشر أفكارها في شكل مقالات منشورة في الصحف التي عارضت من خلالها السياسة البربرية منها ما جاء في صفحات جريدة المنتقد والشهاب والبصائر وغيرها من الصحف.
- ❖ عرف المغرب الأقصى هو الآخر ردا على هذه السياسة تجلت في رد فعل العلماء أمثال علال الفاسي وعبد اللطيف الصبايحي، بالإضافة إلى الزوايا وما لعبته في الرد على هذه السياسة.
- ❖ شهدت الحركة الوطنية المغربية ابتداء من سنة 1932م مرحلة مهمة تميزت بتأسيس المجلات والصحف التي قامت بالرد على السياسة البربرية مثل ما جاء في صفحات مجلة المغرب وجريدة عمل الشعب.
- ❖ لم يقتصر صدى السياسة البربرية على الجزائر والمغرب الأقصى فقط بل عم العالم الإسلامي كله، ومن الشخصيات التي ساهمت في ذلك شكيب أرسلان الذي ساند الوطنيين المغاربة وقوفا إلى جانبهم.
- ❖ كما كانت للصحف والمجلات العربية والإسلامية رد فعل على هذه السياسة من بينها جريدة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا.
- ❖ في النهاية يمكننا القول في إطار هذه السياسة المعروفة بسياسة فرق تسد، أن فرنسا اهتمت في الجزائر والمغرب الأقصى إلى سن بعض القوانين التي هدفت من ورائها إلى تشتيت المجتمعين والقضاء على هويتهم الوطنية.

الملاحق

الملحق رقم (01): مضمون قانون التجنيد الإجباري

نشر القانون في الجريدة الرسمية يوم السبت 02 مارس 1912، يضم 30 مادة مقسمة إلى أربع أبواب.

➤ **الباب الأول:** هو عبارة عن أحكام عامة يضم المادة الأولى التي تنص على تجنيد الجزائريين بصيغة الاختيار أو إعادة التجنيد.

➤ **الباب الثاني:** جاء للتأكد على الأحكام الواردة في الباب الأول وهذا ما نلتمسه في المادة الثانية.

➤ **الباب الثالث:** يحتوي على ثمانية 8 فصول تضم ثلاثة وعشرين 23 مادة، أي من المادة الثالثة إلى غاية المادة السادسة والعشرين، حيث نجد الفصل الأول يحتوي على أربعة 4 مواد، من المادة الثالثة إلى غاية المادة السادسة، وهو متعلق بالاستدعاء، الفصل الثاني يحتوي على خمسة 5 مواد من المادة السابعة إلى غاية المادة الحادية عشر، والمتعلق بإحصاء الجزائريين، أما الفصل الثالث يحتوي على ثلاثة 3 مواد، من المادة الثانية عشر إلى غاية المادة الرابعة عشر، والذي يبين الأشخاص اللذين لهم الحق الإعفاء والتأجيل والإعذار. والفصل الرابع يحتوي على سبعة 7 مواد من المادة الخامسة عشر إلى غاية المادة الواحد والعشرين. والمتعلق بالقرعة وجمع الأشخاص: الفصل الخامس، فهو الخاص بالبديل أو إيجاد العوض والملخص في المادة الثانية والعشرين 22.

الفصل السادس: يضم المادتين الثالثة والعشرين 23 والرابعة والعشرين 24، الخاص بجمع العسكريين.

الفصل السابع: الخاص بالمرتب اليومي والجوائز، وهذا ما تنص عليه المادة الخامسة والعشرين 25. أما الفصل الثامن فهو متعلق بالأحكام الجزائية ويشمل على المادة السادسة والعشرين 26.

➤ الباب الرابع: فهو يحتوي على أربع 4 مواد، من المادة السابعة والعشرين إلى غاية المادة الثلاثين، والمتعلق بالأحكام الخصوصية حيث تحدد مواده الامتيازات الخاصة بالعسكريين القدامى، تنظيم الجنود، والقانون الساري المفعول في المناطق المدنية دون غيرها من المناطق العسكرية.¹

¹ - آيت حبوش حميد، قانون التجنيد الإجباري 1912م دراسة في ظروف صدوره وموقف الجزائر منه، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 9، ع1، سبتمبر 2018م، ص ص 279-280.

الملحق رقم (02): منزل مهمة مزاب ومدرسة الآباء المنصرين¹



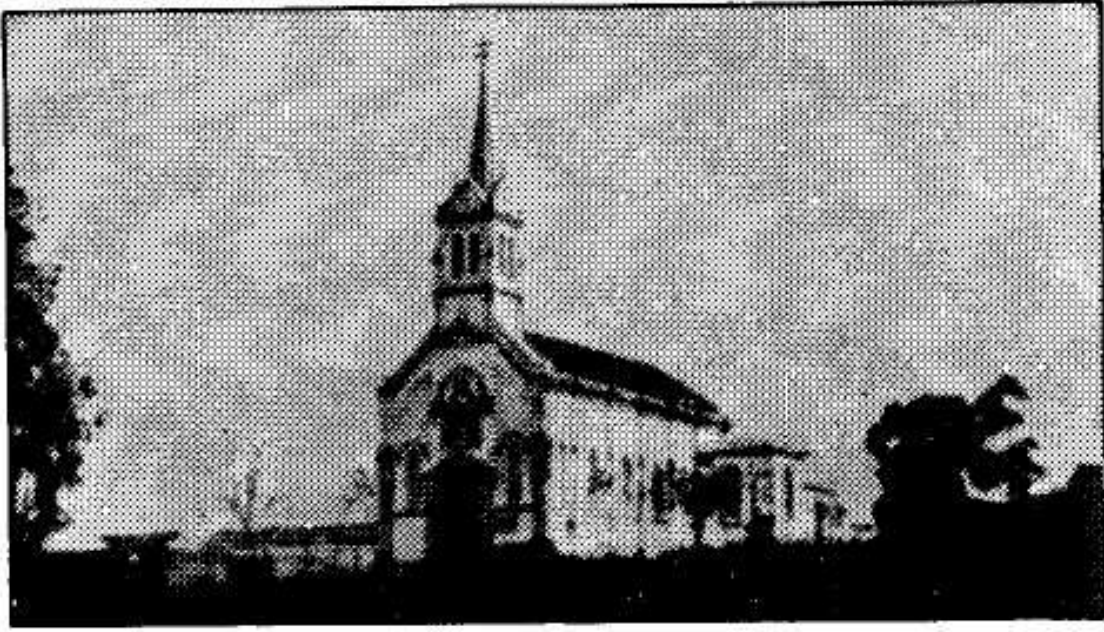
منزل مهمة مزاب — غرداية المبنى على ربوة "تَضَفَّت" بجنبه المستشفى الأهلي، والمدرسة إلى الأسفل



مدرسة الآباء المنصرين من داخل منزل تَضَفَّت

¹ - الحاج احمد، الحاج ابراهيم، المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية ف نهاية القرن 19م (مزاب والأهقار نمودجا)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 02، الجزائر، ص 133.

الملحق رقم (03): كنيسة وملحق لها¹



كنيسة وملحق لها

¹ - خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية 1830م - 1871م، دار حلب، الجزائر، 2007م، ص 202.

وتبلورت الاقتراحات التي قدمها الجنرال هنريس في ظهير 11 سبتمبر 1914 الذي نص على مايلي: " يعلم من كتابنا هذا أسماء وأعز أمره أنه لما كانت القبائل البربرية تتهاجر دخول في طاعة جنابنا الشريف بسبب انتشار الأمن وكانت لهم عوايد خصوصية يجرون عليها أعمالهم من قديم ويصعب عليهم الخروج عليها وكان غرض جنابنا الشريف السعي فيما يسود به الأمن ويعم به الصلح والاطمئنان يجرونه عليها من أعمالهم ومن أجله صدرنا أمرنا الكريم بما يلي:

الفصل الأول: أن القبائل البربرية الموجودة بإيالتنا الشريفة تبقى شؤونها جارية على مقتضى قوانينها وعوايدها الخصوصية تحت مراقبة الحكومة.

الفصل الثاني: تصدر قرارات من الصدر الأعظم مع الموافقة مع الكاتب العام لدى الدولة في تعيين القبائل المتبعة العوايد البربرية كما يقع تعيين ما ينطق على تلك القبائل والقوانين والضوابط الصادرة بها والسلام".

¹ - بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830م - 1930م، وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010م، ص 35.

أ. المحافظة على مبدأ التحكيم: كلفت الحكم (الأحكام) بالنظر في القضايا المدنية طبقا للايزرف. وأعطى الحق للأطراف المتنازعة في اللجوء إلى الحكم الثاني والثالث، إلا أنه لم يعط لهم الحق بالاستئناف بعد اللجوء إلى الثالث.

ب. تكوين جماعات من كل فخذ من أفخاذ القبيلة، وهي تتكون من أعيان ويرأس كل جماعة رئيس منتخب الأعضاء شريطة أن يحظى بثقة السلطات المحلية الفرنسية القائمة (60)، وقد لهذه الهيئات الحق للتدخل وحضور في النزاعات والقضايا المدنية القائمة بين الأفراد فعندما لاتصل الأطراف المتنازعة إلى حل المشاكل القائمة بينها، وبعد اللجوء إلى المحكمين، تتدخل الجماعة وتدفع المتنازعين في التصالح، وفي حالة فشلها تعين أحد المحكمين الذي يفصل القضايا أمامها بشكل نهائي (61).

ج. تزويد الجماعات. بمقرر مكلف بتدوين مداولاتها وعمليات الصلح التي تشرف عليها وقرارتها المحكمين باللغة الفرنسية.

¹ - بوضرساية، مرجع سابق، ص 352.

الملحق رقم (06): ظهير 16 ماي 1930م

الحمد لله وحده

السيد الشريف

يصبح بموجبه قانونيا مطبقا الأصول المرعية سير شؤون العدلية التالي في القبائل ذات العوائد البربرية التي لا توجد فيها محاكم مكلفة بتطبيق القواعد الشرعية.

يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره أنه حيث أن والدنا المقدس بالله السلطان مولاي يوسف قد أصدر ظهيرا شريفا مؤرخا في 20 شوال عام 1332 الموافق 11 شتنبر سنة 1914 يأمر فيه باحترام ومراعاة النظام العرفي الجاري العمل به في القبائل التي استتب الأمن فيها وذلك حيا في مصلحة رعايانا واطمئنان دولتنا الشريفة، حيث قد صدر الغرض نفسه ظهير شريف مؤرخ في 19 شوال عام 1340 الموافق 15 يونيو سنة 1922 بتأسي قواعد خصوصية متعلقة بتفويت العقارات الأجانب بالقبائل ذات العوائد البربرية التي لا توجد فيها محاكم مكلفة بتطبيق القواعد الشرعية.

وحيث أن القبائل عديدة قد أدرجت منذ ذلك الحين بطريقة قانونية من طرف وزيرنا الصدر الأعظم في عدد القبائل التي ينبغي احترام ومراعاة نظامها العرفي.

وحيث أنه أصبح الآن من المناسب تعيين الشروط الخصوصية التي ينبغي اتباعها في مباشرة العدلية والقضاء بين من ذكر مع احترام العوائد المذكورة أصدرنا أمرنا الشريف بما يأتي:

الفصل الأول:

إن المخالفات التي يرتكبها المغريون في القبائل ذات العوائد البربرية بإيالتنا الشريفة والتي ينظر فيها لقواد في بقية نواحي مملكتنا السعيدة يقع زجرها هناك من طرف رؤساء القبائل.

أما بقية المخالفات فينظر ويقع زجرها طبق ما هو مقرر في الفصلين الرابع والسادس من ظهيرنا الشريف هذا.

الفصل الثاني:

أنه مع مراعاة القواعد المتعلقة باختصاصات المحاكم الفرنسية بإيالتنا الشريفة فإن الدعاوى المدنية والتجارية والدعاوى المختصة بالعقارات أو المنقولات تنظر فيها محاكم خصوصية تعرف (بالمحاكم العرفية) ابتداءً أو نهائياً بحسب الحدود (المقدار) التي يجرى تعيينها بقرار وزيري.

كما تنظر المحاكم المذكورة في جميع القضايا المتعلقة الأحوال الشخصية أو بأمور الإرث، وتطبق في كل الأحوال العوائد المحلية.

الفصل الثالث:

إن استئناف الأحكام الصادرة من طرف المحاكم العرفية يرفع أمام محاكم تعرف بالمحاكم العرفية الإستئنافية وذلك في جميع الأحوال التي يكون فيها الاستئناف مقبولا.

الفصل الرابع:

إن المحاكم الإستئنافية المشار إليها تنظر أيضا في الأمور الجنائية ابتداءً ونهائياً بقصد زجر المخالفات المشار إليها في الفترة الثانية من الفصل الأول أعلاه وكذلك زجر جميع المخالفات التي يرتكبها أعضاء المحاكم العرفية التي يطوق باختصاصاتها الاعتيادية رئيس القبيلة.

الفصل الخامس:

يجعل لدى كل محكمة عرفية ابتدائية أو إستئنافية مندوب مخزني مفوض من طرف حكومة المراقبة بالناحية التي يرع إليها أمره ويجعل أيضا لي كل واحدة من المحاكم المذكورة كاتب مسجل يكون مكلفا أيضا بوظيفة موثق.

الفصل السادس:

إن المحاكم الفرنسية التي تحكم في الأمور الجنائية حسب القواعد الخاصة بها لها النظر في زجر الجنايات التي يقع ارتكابها في نواحي البربرية مهما كانت حالة مرتكب الجناية ويجري العمل في هذه الأحوال بالظهير الشريف المؤرخ في 12 غشت سنة 1913 المتعلقة ب المرافعات الجنائية.

الفصل السابع:

إن الدعاوى المتعلقة بالعقارات إذا كان الطالب أو المطلوب فيها من الأشخاص الراجع أمرهم للمحاكم الفرنسية فتكون من اختصاصات المحاكم الفرنسية المذكورة.

الفصل الثامن:

أن جميع القواعد المتعلقة بتنظيم المحاكم العرفية وتركيبها وسير أعمالها تعين بقرارات وزيريه متوالية تصدر بحسب الأحوال وما تقتضيه المصلحة والسلام .

وحرر بالرباط في 17 ذي الحجة عام 1348 الموافق 16 ماي سنة 1930 قد سل هذا الظهير الشريف في الوزارة الكبرى بتاريخ 17 ذي الحجة عام الموافق 16 مايو سنته.

محمد المقرري

اطلع عليه وأذن بنشره

الرباط في 23 مايو سنة 1930.¹

¹ - بوضرساية، مرجع سابق، ص ص 353-355.

البيليو غرافيا

القرآن الكريم

سورة النمل: الآية 19.

سورة النحل: الآية 106.

أولاً: المصادر

1. أرسلان شكيب، عروة الإتحاد بين أهل الجهاد، ط1، الدار التقديمية، لبنان، 2009م.
2. أرسلان شكيب، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، 2009م.
3. جوليان شارل أندري، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية ترجمة: المنجي سليم ومجموعة من الأساتذة، مراجعة: فريد السوداني، الدار التونسية تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م.
4. حزب الإستقلال، المغرب الأقصى قبل الحماية، عهد الحماية، إفلاس الحماية، مكتب المستندات والأنباء، المغرب، 1951م.
5. ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم البربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر)، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000م.
6. سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، دار المعرفة، الجزائر، 2008م.
7. سبيلمان جورج، المغرب من الحماية إلى الاستقلال 1912م - 1956م، ترجمة: محمد المؤيد ط1، منشورات الأمل، 2014م.
8. بن عثمان حمدان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2005م.

9. الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط6، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006م.
10. فرحات عباس، دليل الاستعمار، دار القصة للنشر، الجزائر، 2005م.
11. القادري أبوبكر، مذكراتي في الحركة الوطنية ما بين 1930م - 1940م، ذكريات ومواقف وأحداث، ج1، ط1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992م.
12. المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية القاهرة.
13. المكي محمد الناصري، فرنسا وسياساتها البربرية في المغرب الأقصى، ط2، شركة بابل الرباط، 1993م.
14. الوزاني محمد حسن، مذكرات حياة كفاح: التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية العربية، ج3، ط1، مؤسسة جواد للطباعة والتصوير، بيروت، 1984م.

ثانيا: المقالات

1. الأغواطي أحمد بن أبي زيد، التعليم عندنا وحاجته إلى توحيد النظام، الشهاب، المجلد 13، ج1، قسنطينة، ماي 1925م.
2. ابن باديس عبد الحميد، تعطيل السنة وإصدار الشريعة، العدد1، السنة الأولى 17 جويلية 1933م.
3. رضا محمد رشيد، لا عذر لسلطان المغرب في إكراه فرنسا له على نقض حكم الله المنار، المجلد 31، ج3، 26 ماي 1930م.
4. رضا محمد رشيد، كتاب الوزير نص في إرادة إزالة الإسلام في المغرب، المجلد 31، ج4، 26 ماي 1930م.
5. العقبي الطيب، الدين والاجتماع، العدد 6، السنة الأولى، تونس، أوت 1925م.
6. قردة محمد خير، الدين الإسلامي بين المبشرين والمبدعين، الشريعة، العدد 6، السنة الأولى، أوت 1933م.

7. لجنة التحرير، العلم والمال شرطان أساسيان في الحياة والنوادي مطلع شمسها، الشهاب، المجلد 5، الجزء 4، قسنطينة، ماي 1925م.

8. المليي مبارك، التعليم التعليم، البصائر، ع114، السلسلة الأولى، 20 ماي 1938م.

ثالثا: المراجع

أ. باللغة العربية:

1. الإبراهيمي أحمد طالب، آثار الإمام البشير الإبراهيمي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1997م.

2. آجرون شارل روبر، الجزائريون والمسلمون وفرنسا 1871م - 1919م، تر: حاج مسعود بكلي، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007م.

3. بجاوي محمد صلاح، متعاونون ومجندون جزائريون في الجيش الفرنسي 1830م - 1918م، دار القصبة للنشر، 2009م.

4. بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية 1830م - 1871م، دار حلب، الجزائر، 2007م.

5. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1997م.

6. بوخاوش سعيد، الاستعمار الفرنسي وسياسة الفرنسة في الجزائر، دار تفتيل للنشر، 2013م.

7. بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830م - 1930م، وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010م.

8. جرار كفاح، زوايا نائرة من اللوحة إلى البندقية، ط1، منشورات الأنيس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.
9. حنبكة الميداني، عبد الرحمان حسن، أحكمة المكر الثلاث ومخاوفها التبشير - الاستشراق - الاستعمار، ط8، دار القلم، دمشق، 2000م.
10. خير محمد فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب 1918م - 1939م، دمشق، 1977م.
11. الدالي الهادي وهلال عمار، دراسة حركات التبشيرية والتنصير في منطقة افريقيا ما وراء الصحراء، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2002م.
12. ريسلير كميل، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها 1830م - 1962م ترجمة وتعريب: نذير طيار، ط1، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، 2016م.
13. زوزو عبد الحميد، تاريخ الاستعمار والتحرر في افريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م.
14. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1830م - 1945م، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1992م.
15. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1830م - 1945م، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1992م.
16. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م - 1945م، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
17. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م - 1954م، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
18. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م - 1954م، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

19. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م - 1954م، ج8، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
20. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج8، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
21. سعيد مزيان، السياسة الاستعمارية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها 1871م - 1914م، ج2، ط1، دار سنجاق الدين للكتاب، 2010م.
22. سعيد مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغيري في الجزائر 1867م - 1892م ط1، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
23. (بن) عبد الكريم محمد الجزائري، لغة كل أمة روح ثقافتها، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، 1989م.
24. عميرايي أحيدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844م - 1916م، دار الهدى، الجزائر، 2009م.
25. عياش ألبير، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الاستعمارية، تر: عبد القادر الشاوي وآخرون، جريدة المناضل، ط1، الخطابي للطباعة والنشر، 1995م.
26. فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق.م - 1962م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.
27. القبلي محمد، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، ط1، المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 2001م.
28. قليل عمار، ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، الدار العثمانية، الجزائر، 2013م.
29. قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، وحدة الطباعة بالروبية، الجزائر، 1994م.

30. الكحلوت عبد العزيز، التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية الجماهيرية العظمى، طرابلس، 1992م.
31. لونيسي رابح، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830م - 1989م، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.
32. مالكي أحمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994م.
33. المريني عبد الحميد، الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية الأستاذ علال الفاسي إلى أيام الإستقلال، مطبعة الرسالة، الرباط (المغرب)، 1978م.
34. مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة الجزائرية، جمع وتحقيق: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003م.
35. المقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر: الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013م.
36. هرموني حسين، التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية بداية من القرن العشرين، دار الشمسة للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، الجزائر، 2010م.
37. هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014م.
38. واتروري جون، أمير المؤمنين الملكية والنخبة السياسية المغربية، تر: عبد الغني أبو الغرم وآخرون، ط3، مؤسسة الغني، الرباط (المغرب)، 2013م.
39. الوردغي عبد الحميد، فاس في عهد الإستعمار الفرنسي 1912م - 1956م، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992م.
40. ياغي إسماعيل أحمد، تاريخ العالم العربي المعاصر، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000م.

41. يسلي مقران، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920م - 1945م، دار الأمل، الجزائر، 2007م.

ب. باللغة الفرنسية:

1. Paul Azan, les grands soldats de l'algerie, publication de comité national métropolitain du centenaire de l'algerie.

رابعا: المجلات

1. آيت حبوش حميد، قانون التجنيد الإجباري 1912م دراسة في ظروف صدوره وموقف الجزائر منه، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 9، ع1، سبتمبر 2018م.

2. بابة حورية، المسألة الثقافية لدى الحركة الوطنية المغربية السلطانية 1930م - 1956م مجلة الأحياء، المجلد 20، ع26، سبتمبر 2020م.

3. بلعربي خيرة، نشاط المبشرين وأهم المناطق التنصيرية في الجزائر خلال الفترة الإستعمارية، مجلة الحقيقة، ع2، 2018م.

4. بوتشيشة عبد القادر، لافييجيري والتنصير في الجزائر، مجلة الآفاق العلمية، ع2، 2019م.

5. بوزياني قدور، مكناس المدينة الجديدة، التأسيس البنايات الإدارية، التناقضات (1911م - 1939م)، مجلة مكناس، العدد 13، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1999م.

6. بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين وموقفها من ظهور الحركة البربرية في الجزائر، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 63-64، جويلية 1991م.

7. بوفروك فاتح، صدى الظهير البربري 16 ماي 1930 بالمغرب على مصر وبعض البلدان العربية من خلال جريدة الفتح، المجلة المغاربية للمحفوظات، العدد 6، جانفي 2018، قسم التاريخ، جامعة عنابة.

8. التميمي عبد الملك خلف، الاستيطان الأجنبي بالمغرب الأقصى، مجلة عالم المعرفة، ع71، المجلة الوطنية للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر 1983م.

9. بونعامة أحمد، دور الصحافة المغاربية في مقاومة الإستعمار (المغرب الأقصى نموذجاً)، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 4، العدد 2، سبتمبر 2020م.
10. الحادك القاسم، الزوايا والطرق الصوفية في المغرب من قمة المخزن وتكريس شرعيته إلى مسألة المستعمر ومهادنته، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد 1، سبتمبر 2013م.
11. حواوسة جمال، أساليب ووسائل التنصير في المؤسسات التعليمية الجزائرية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 14، 2018م.
12. سليمان عبد القادر، دور المكاتب العربية في توطيد أركان الإحتلال الفرنسي، العدد 3، مارس 2011م.
13. الشيخ فطيمة، قانون كريمو 24 أكتوبر 1870م أو تجنيس اليهود الاختيارات الصعبة في ظل الهيمنة الاستعمارية، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 15-14، مارس 2017م.
14. لباز الطيب، الزيارة التاريخية للأمير شكيب أرسلان إلى شمال المغرب أوت 1930م الحدث ونتائجه، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، العدد 8، ديسمبر 2013م.
15. مرغيت محمد، سياسة التنصير ودورها في المخطط الاستعماري الفرنسي، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 4، سبتمبر 2019م.

خامسا: الأطروحات

1. برهاني منوبة، الفكر المقاصدي عند محمد رشيد رضا، أطروحة لنيل الدكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006م - 2007م.
2. بلحاج صادق، الصحافة العربية في الجزائريين التيارين الإصلاحي والتقليدي، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، جامعة وهران، 2011م - 2012م.

3. بوفروك فاتح، الظهير البربري في المغرب الأقصى من خلال مجلة المنار 1930م - 1934م، مذكرة ماجستير في تاريخ العلاقات بين المشرق والمغرب في الفترة الحديثة والمعاصرة، جامعة الجزائر 02، 2010م - 2011م.
4. (ال) حاج ابراهيم الحاج أحمد، المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن التاسع عشر: مزاب والأهقار نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة 02، 2011م - 2012م.
5. (بن) داود أحمد، المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب من خلال التعليم 1920م - 1954م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بلة، وهران 01، 2016م - 2017م.
6. عمايرة محمد سالم أحمد، شكيب أرسلان 1869م - 1946م، دراسة في فكره السياسي أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، الجامعة الأردنية، الأردن، 2000م.
7. قرنا ب عبد الرؤوف، جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير إبان الاحتلال الفرنسي 1830م - 1962م، مذكرة لنيل الماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 01، بن يوسف بن خدة، 2014م - 2015م.
8. قوبع عبد القادر، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب سنتي 1920م - 1954م مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2007م - 2008م.
9. قوبع عبد القادر، الحركة الإصلاحية في منطقة الحماية الفرنسية بالمغرب الأقصى بين سنتي 1912- 1956، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، 2013م - 2014م.
10. مخلوف ساجية، التنصير في منطقة القبائل أسبابه وعوامله، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2013م - 2014م.

11. مرتاض عبد الحكيم، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني 1518م - 1830م تأثيراتها الثقافية والسياسية، أطروحة لنيل الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015م - 2016م.

12. هرتان محمادي، السلطة المركزية في المغرب مطلع القرن العشرين بين التفكك وإعادة الإنتاج، دكتوراه في الحقوق، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 2006م.

سادسا: المواقع الإلكترونية

1. مقال ليلي مصلوب، الدعوة إلى البربرية والدارجة صناعة استعمارية فرنسية، لقاء مع الدكتور مصطفى نويسر، جريدة الشروق، 2018/04/20م، تاريخ الولوج 15 فيفري 2021م، على الرابط: echoroukonline.com
2. مقال حسن بن أحمد، الطريقة القادرية البودشيشية، نفحات الطريق (موقع صوفي) 2016م، تاريخ الولوج 03 أفريل 2021م، على الرابط: nafahat-tarik.com

الإهداء

شكر

قائمة المختصرات

المقدمة أ - هـ

**الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة في الجزائر والمغرب الأقصى غداة الإحتلال
(1830م - 1926م)**

المبحث الأول: الأوضاع العامة في الجزائر (1830م - 1870م) 07

أ - سياسيا وعسكريا 07 - 10

ب - اقتصاديا واجتماعيا 10 - 12

ت - دينيا وثقافيا 12 - 15

المبحث الثاني: الأوضاع العامة في المغرب الأقصى (1906م - 1926م) 15

أ - سياسيا وعسكريا 15 - 18

ب - اقتصاديا واجتماعيا 18 - 20

ت - دينيا وثقافيا 21

الفصل الأول: السياسة البربرية الاستعمارية في الجزائر (1830م - 1930م)

المبحث الأول: مفهوم ودلالة السياسة البربرية 23 - 24

المبحث الثاني: محاربة اللغة العربية وتشجيع اللهجات الدارجة والبربرية 24 - 26

أ - فرنسة شعوب المنطقة 26

ب - إنشاء المدارس القبائلية 26 - 27

ت- الإهتمام باللهجات على حساب اللغة العربية	27 - 28
ث- إيهام الناس بأن اللغة الفصحى لغة صعبة	28
ج- تشجيع لهجات الدارجة والبربرية	28
المبحث الثالث: إصدار القوانين المميزة للمناطق البربرية	29
أ- قانون كريميو 24 أكتوبر 1870م	29 - 30
ب- قانون التجنيد الإجباري 1912م	30 - 32
المبحث الرابع: التبشير والتنصير في مناطق ذات تواجد بربري	32 - 33
أولاً: مفهوم التبشير والتنصير وأهدافه	33
أ- مفهوم التبشير	33
ب- مفهوم التنصير	33 - 34
ت- أهداف التنصير	34
ثانياً: التبشير والتنصير في بلاد القبائل	35
أ- الفترة الأولى (1858 - 1860م)	35 - 36
ب- الفترة الثانية (1860 - 1867م)	36 - 37
ت- الفترة الثالثة (1867 - 1892م)	37 - 39
ثالثاً: التبشير والتنصير عند الطوارق (تمراست)	40 - 41
رابعاً: التبشير والتنصير عند بني مزاب	41 - 43
المبحث الخامس: نماذج من البحوث والدراسات الفرنسية حول المناطق البربرية وكثافتها	44 - 45

الفصل الثاني: السياسة البربرية الفرنسية في المغرب (1912 - 1930م)

المبحث الأول: الظواهر البربرية	47
--------------------------------------	----

- أ- ظهير 11 ديسمبر 1914م 49 - 47
- ب- ظهير 15 يونيو 1922م 50 - 49
- ت- ظهير 16 ماي 1930م 52 - 51
- المبحث الثاني: تشجيع اللهجة البربرية ومحاربة اللغة العربية 54 - 52
- المبحث الثالث: نفي العلماء ومحاربة الزوايا ودور العلم العربية في المغرب 55
- أ- نفي العلماء 55
- ب- موقفهم من التعليم العربي 56
- غلق المدارس 56
- اضطهاد معلمي المدارس الحرة 57
- فرض الرقابة على المدارس الحرة 59 - 57
- ت- موقفهم من الزوايا 62 - 59

الفصل الثالث: ردود الفعل على السياسة البربرية محليا وإقليميا

- المبحث الأول: الردود المحلية 64
1. الجزائر 64
- رد فعل العلماء: (جمعية العلماء المسلمين) 66 - 64
- رد فعل الزوايا والطرق 67 - 66
- زاوية سيدي أويحي 68 - 67
- الزاوية العلاوية 68
- رد فعل الصحافة 68
- المنتقد 69

70 - 69	- الشهاب
70	- الشريعة النبوية
71 - 70	- البصائر
71	2. المغرب الأقصى
73 - 71	- رد فعل العلماء
74	- رد فعل الزوايا والطرق
74	- رد فعل ديني
74	- رد فعل تربوي تعليمي
76 - 74	- الزاوية البوديشيشية
76	- رد فعل الصحافة
77 - 76	- مجلة المغرب (1932م - 1934م)
78 - 77	- جريدة عمل الشعب
78	المبحث الثاني: رد الفعل العالم الإسلامي
81 - 78	- نماذج من مواقف العلماء (شكيب أرسلان)
84 - 81	- موقف الصحافة (جريدة المنار القاهرية لمحمد رشيد رضا)
87 - 86	الخاتمة
97 - 89	قائمة الملاحق
108 - 99	قائمة الببليوغرافيا
112 - 109	الفهرس
114	ملخص باللغة العربية
115	ملخص باللغة الأجنبية

ملخص:

حاولت فرنسا منذ دخولها إلى الجزائر والمغرب الأقصى فرض هيمنتها الشاملة عليهما في أسرع وقت ممكن، ولأجل ذلك لجأت إلى محاولة إحداث شرح بين مكونات هذين المجتمعين وخلق ثغرة تمكنها من الإيقاع بين العرب والبربر، في إطار ما يطلق عليه بالسياسة البربرية، هذه الأخيرة تمثلت في مظاهر استعمارية باستصدار القوانين والمراسيم ومحاربة اللغة العربية وتشجيع اللهجات الدارجة والبربرية، كما سعت إلى تمسيح سكانها عن طريق العمليات التبشيرية، ونظرا لخطورة هذه السياسة واجه الشعبين الجزائري والمغربي بكل قوة، وقد آزرهم في ذلك الجماهير المشرقية بمختلف الوسائل لاسيما الصحافة التي لعبت دورا كبيرا وحاسما في الدفاع عن الشعب المغاربي، وكانت في مقدمتها مجلة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا.

Summary:

France tried to enter Algeria and Morocco to impose its total domination over them as soon as possible, And for that, she resorted to an attempt to create a rift between the components of these two societies and to create a gap that would enable them to fall between the Arabs and the Berbers, Within the framework of the so-called barbaric policy, the latter represented colonial manifestations by issuing laws and decrees, fighting the Arabic language, and encouraging vernacular and barbaric dialects, It also sought to anoint its inhabitants through missionary operations, And in view of the gravity of this policy, he confronted the Algerian and Moroccan people with full force, He supported them in this by the Levantine masses by various means, especially the press, which played a large and decisive role in defending the Maghreb people, It was in the forefront of Al-Manar magazine, owned by its owner, Muhammad Rashid Rida.

